http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : من مجلة التراث العربي

من مجلة التراث العربي

(/)

---

مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد 18 – السنة الخامسة – كانون الثاني "يناير" 1985 – ربيع الثاني 1405

Updated: Saturday, December 13, 2003 04:01 AM

فهرس العدد

أشعَار لديك الجنّ لم تنشر وَنظرة عجلى في ديوانه وما كتبَ حَوله ـ مصبَاح غلاونجي

كان للأديبين الأستاذين عبد المعين الملوحي . مد الله في عمره . والمرحوم محيي الدين الدرويش . طيب الله ثراه . فضل السبق إلى الاهتمام بالشاعر العربي الكبير ديك الجن، وإلى العناية بجمع ما تيسر لهما العثور عليه من شعره في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة، ونشره سنة 1960 في كتيب أسمياه: (ديوان ديك الجن الحمصي).

ثم اقتدى بهما الأديبان الدكتور أحمد مطلوب والأستاذ عبد الله الجبوري فأعادا طبع الديوان سنة 1964، بعد أن أضافا إليه طائفة قيمة من القصائد والمقطعات نسبت إلى شاعرنا، وقعا عليها في شتيت من المظان الأدبية والتاريخية، وفي مخطوطة حديثة العهد خلفها الشيخ محمد السماوي جمع فيها شعراً لبعض الشعراء وفي جملتهم شاعرنا، ووسم ما جمعه له (بالملتقط من شعر عبد السلام بن زغبان ديك الجن). (1).

ثم كتب الأديب الأستاذ هلال ناجي في العدد الخامس من مجلة (الكتاب)، والصادر في شهر أيار من سنة 1974، مقالاً بعنوان: (المستدرك على ديوان ديك الجن) أورد فيه "ما تجمع لديه، خلال رحلته الطويلة

في المخطوطات والمطبوعات من إضافات قيمة من شعر هذا الشاعر، مما لم يقف عليها محققو شعره جميعاً". (2). وكانت مجموعة جديدة قيمة بالفعل ضمت اثنتين وثلاثين مقطوعة يتسم معظمها بطابع شعره.

(/)

---

ثم كتب الأديب الأستاذ محمد يحيى زين الدين في الجزء الأول من المجلد الحادي والخمسين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق والصادر في شهر كانون الثاني من سنة 1976، مقالاً عنوانه: (حول ديوان ديك الجن)، عرض فيه لما في الديوان الجديد من اضطراب في الترتيب، وصحح نسبة بعض ما حواه من مقطعات، وأورد خمساً وعشرين مقطوعة خلا منها ديوانه، وذكر أنها لم تنشر، بيد ان ثلاث عشرة منها منشورة في مقال الأستاذ هلال ناجي الذي نوهنا به، مما يدل على أن الأستاذ زين الدين والمشرفين على تحرير مجلة المجمع آنذاك لم يطلعوا على هذا المقال.

وقد علمت مؤخراً أن الصديق الأستاذ عبد المعين قد عقد العزم على استئناف ماكان قد بدأ به من عمل أدبي جليل، وأنه عاكف الآن على إعادة النظر في الديوان ودراسته، وتنخيل ما احتوى عليه من شعر ونفي مافيه من تخليط أو توهم في النسب، وتثبيت ما يترجح له نسبته إلى شاعرنا العظيم، ولاشك في أنه خير من ينهض بهذا الصنيع الأدبي وأجدر به وأولى؛ ذلك لأنه كان المبتدئ به، والفضل يعود دائماً للمبتدي على المقتدي، وأنه أديب وشاعر مطبوع، والشاعر، في رأينا، أقدر على إدراك مذاهب الشعراء وطباعهم، وأكثر استشفافاً لنفوسهم، وتنسماً لأنفاسهم وأحاسيسهم، وأدق إصابة في الحكم لهم أو عليهم فيما يتنازع الرواة في نسبته من أشعارهم.

(/)

---

هذا، وكنت، وأنا ماض في تحقيق كتاب (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب).(3). للسري الرفاء، أظفر فيه، بين الحين والحين، بمقطوعات من الشعر منسوبة لديك الجن فكنت أنتزعها وأحققها وأقابلها بما في الديوان، وبما أورده الأستاذان هلال ناجي ومحمد يحيى زين الدين من شعر له. وقد توافرت لدي مجموعة من المقطعات لم تنشر بعد، ووجدت أن بعض ما نسب إليه في الديوان، وفيما نشره الأستاذ زين الدين هو منسوب أيضاً لغيره من الشعراء. وقد خطر لي أن أدفع بما جمعت وحققت إلى صديقي الأستاذ عبد المعين ليضمه إلى الديوان الجديد، فارتأى أن ينشر في إحدى المجلات السائرة عسى أن يكون نشره

حافزاً لمن يطلعون عليه من أولئك الذين يغارون على تراثنا العظيم، ويحرصون على صوت حق الأدباء والشعراء، على أن يشاركوا في هذا الجهد الأدبي المشكور، فينشروا ما يعثرون عليه من شعر ديك الجن، أو يوافوا الأستاذ الملوحي، به مهما قل ما يجمعون، لأن القليل، كما يقال، خير من العدم والحرمان.
وأسوق، فيما يلي ما جمعت وحققت:

. آ .
شعر له لم ينشر ولم ينسب لغيره

قال ديك الجن:
. 1 .
حبيبي مقيم على نائه

وقلبي مقيم على رائه(4).

حنانيك يا أملي دعوة

لمن صار رحمة أعدائه

سأصبر عنك وأعصي الهوى

إذا صبر الحوت عن مائه

المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، نسخة ليدن . الورقة: 66: آ ؛ ونسخة الجمعية الغراء بدمشق . الورقة: 43.

. 2 .
قال ديك الجن:
وكأس صهباء صرف ما سرت بيد

إلى فم فدرى ما طعم ضراءِ

كأن مشيتها في جسم شاربها
(تمشي) الصبح في أحشاء ظلماء

نسخة ليدن، الورقة: **208**/ آ.

**. 3**

وعلى ذكر الرقيب قول ديك الجن طريف:

عينَ الرقيب غرقتِ في بحر العمى
لا أنتِ، لا بل عين كل رقيب

من عاش في الدنيا بغير حبيب

فحياته فيها حياة غريب

نسخة ليدن، الورقة: **88**/ ب. ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: **61**.

**. 4**

ديك الجن:

لا وحُبيك ما مللت سقاماً

لك فيه من مقلتيك نصيب

(/)

كل شيء، وإن أضرَّ بجسمي

لك فيه الرضى إليَّ حبيب

نسخة ليدن، الورقة: 62/ ب؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة/ 40.

.5.

ديك الجن:

يا من حلا ثم طاب ريحاً

ففيه شهد وفيه ورد

لو لم تكن للسماء شمس

لكنت تبدو من حيث تبدو

ما ان أظن الهلال إلا

من نور خديك يستمد

ناجيت فيك الصفات حتى

ناجيتني، ما لذاك ند

نسخة ليدن، الورقة: 38/ ب؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة/ 63.

.6.

قال ديك الجن:

لو نبت الشعر في وصال

لعاد ذاك الوصال صدّا

نسخة ليدن، الورقة:12/ آ؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة/6.
وقد ورد هذا البيت دون عزو في نهاية الإرب: 2: 85 مع بيتين تقدما، هما:
أصبح نحساً وكان سعدا

من كان مولى فصار عبدا

بكى على حسنه زماناً

لما رأى الشعر قد تبدى
. 7 .
قال ديك الجن:
في خده خال كأن

أناملاً صبغته عمدا

خَنِثٌ كأن الله ألبـ

ـسه قشور الدر جلدا

وتَرى على وجناته

في أيِّ حين جئت وردا

نسخة ليدن، الورقة: 13/ آ؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: 7.
وقد روي البيتان الثاني والثالث في التشبيهات: 85، والجماهير للبيروني: 115، وثمار القلوب: 633،

منسوبين لأبي نواس، ولكن ديوانه، على مختلف طبعاته، قد خلا منهما مما يرجح أنهما لديك الجن.
وكذلك روي البيت الثالث في نسخة ليدن، الورقة: 15/ب؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: 8، دونما عزو مع بيت آخر تقدمه ونصه:
مترقرق الخدين من

ماء الصِّبا والطيب يندى
ومع اختلاف في كلمات العجز وفقاً لما يلي:
وترى على وجناته

[في غير حين الورد وردا].
.8.
قال ديك الجن:
قالت: حراماً تبتغي وصلَنا

قلت: فما بالوصل من باسِ

قالت: فمن حلل هذا لكم؟

قلت: أراه رأي قيَّاسِ

نحن جميعاً من بني آدم

من حرَّم الناس على الناسِ

فأقبلت تمشي ولو أنها
تقدر جاءتني على الراسِ

نسخة ليدن، الورقة: 57/ آ ، ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: 36.

ونشير إلى أن عجز البيت الأول قد ورد في نسخة ليدن على النحو التالي:
(من حرّم الورد على الآس).

كما أن عجز البيت الثاني قد ورد في نسخة الجمعية الغراء كما يلي:
(قلت: رآه رأي قيَّاس.).

**. 9 .**

قال ديك الجن:

ظلت مطايا الملاهي وهي واجفة

وظلَّلتنا مطايا الورد والآسِ

باكرتها قبل أسفار الضحى بيدي

فما تبلَّج حتى نكسَّت راسي

نسخة ليدن، الورقة: **186**/ آ.

**. 10 .**

قال ديك الجن:

أما والذي أصفاك مني مودة

وحباً لكم في حبة القلب يغرس

لئن ظل لي من فقد وجهك موحش

لقد ظل لي من طول ذكرك مؤنس

أناجيك بالأوهام حتى كأنما
أراكِ بعينيَ فكرتي حين أجلس

نسخة ليدن، الورقة: 80/ آ؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: 54.
وقد وردت أيضاً في مصارع العشاق: 1: 175، دونما نسبة، وفيها بعض اختلاف في الألفاظ، كما أنها تشبيب بمذكر، وهذا نصها:
أأنتَ الذي أصفيت منكَ مودة

قلائدها في ساحة القلب تغرس

وإن كان لي من فقد قلبي موحش

فقد ظل لي من فكرتي فيك مؤنس

أناجيك بالإضمار حتى كأنني

أراك بعيني فكرتي حين أجلس.
. 11 .
قال ديك الجن:
وباكرت الصبوح على صباح

يلوح من السوالف والسلاف

وعذراوين من حلب الأماني

أدرتهما ومن حلب القطاف

أدرنا منهما قمراً وشمساً

وشمس الله مسرجة الغلاف

خذي حلب الحياة ولا تبيعي

رجاءك بالمخافةِ لن تخافي

نسخة ليدن، الورقة:187/ب، وورد البيتان الثاني والثالث، منسوبين له في المضاف، والمنسوب للثعالبي: 27، ورد البيت الرابع منسوباً له أيضاً في مخطوطة فصول التماثيل، الورقة، 31، وقد ذكر ذلك الأستاذ هلال ناجي في مقاله.

. 12 .

قال ديك الجن:

وإن الذي أزرى بشمس سمائه

فأبداه نوراً والخلائق طين

تأنق فيه كيف شاء وإنما

مقالته للشيء كن فيكون

نسخة ليدن، الورقة: 36/ ب؛ ونسخة الجمعية الغراء، الورقة: 12.

. 13 .

قال ديك الجن:

ذات سراويل تحت أقمصة

من فضة حُفَّتا بفصَّين

شاطرة كالغلام فاتكة

تصلح من طبها لأمرين

(/)

---

قدُّ غلام وخلق جارية

قامت من الطيب بين خلطين

تفردت بهذه المقطوعة نسخة الجمعية الغراء؛ الورقة:28 منها.

. 14 .

وقفت على القصيدة التالية في مخطوطة جمهرة الإسلام للشيزري(5)؛ منسوبة لديك الجن، ولكنني وجدتها متفككة الأوصال ومعظم أبياتها دون مستوى شعره وبيانه وطبعه، وأثبتُها هنا وفاء بحق البحث العلمي:

سهام لحاظ من قسي الحواجب

نظمن الأسى في القلب من كل جانب

غداة كتبنا في الخدود رسائلا

بأطراف أقلام الدموع السواكب

تلوح على لباتنا ونحورنا

وتبعثها أجفاننا للترائب

وألسننا خرس كأن خلاخلا

حلين، دعاجاً للحسان الكواكب

**كفتك النوى عذل المعنى فأقصري**

**بما رمت فيه من فراق الحبايب**

**حناه الهوى بالشوق حتى كأنما**
**بأحشائه للشوق لدغ العقارب**

**يبيت على فرش الضنى متململا**

**قليلاً تسليه، كثير المصائب**

**فريسة أشجان طريحاً بكفها**

**وما بين نابيْ سبعها والمخالب**

**خليليَّ، خان الصبر وانقطع الكرى**

**وقد أحكمت عيناي رعي الكواكب**

**خليليَّ، عن عيني سلا أنجم الدجى**

**تخبر بتسهيد عريض المناكب**

**خليليَّ، كم من لوعة قد كتمتها**

**فأعلنها دمعي لمقلة صاحبي**

**وهتَّك ستراً في الحشا كان مسبلا**

**على الشوق حتى عنَّفتني أقاربي**

**فما أفضح الدمع السكوب إذا جرى**

**وأظهره لطفاً لما في المغايب**

**سأكحل عيني من بعيد بنظرة**
**إلى دارها بالرغم من أنف راقب**

**وهل تمنعيني نظرة إن بلغتها**
**ولو زهقت نفس الغيور المجانب**

**وقلَّ لعيني من بعيد تأمل**

**ولم أرض إلا حين عزت مطالبي**

**فعللت نفسي بالذي هو مقنعي**

**وأعرضت إعراض البغيض المجائب**

**صفاءً وإخلاصاً وبقيا مودة**

**لعهد كريم واصل غير قاضب**

**وفي النفس مني قد طويت مآربا**

**إلى من إليها حاجتي ومآربي**

**لها من مهاة الرمل عين كحيلة**

**ومن حضرة الريحان حضرة [حاجب].**

**كأن غلاماً حاذقاً خطه لها**

**فجاء كنصف الصاد من خط كاتب**

**أقاتلتي أمًّا أنا فمسالم**

**وأرضى بما ترضين غير مجانب**

**ولكن لقومي عند قومك بغية**

**وبينهم فيها قراع الكتائب**

*(/)*

---

**فإن تقتليني تبعثي الحرب خدعة**

**علينا، فروّي وانظري في العواقب**

**فإن يخل لي وجه الحبيب فإنني**

**سأنشر ما أضمرت بين الحقائب**

**وإلا فإن الستر عندي مكتَّم**

**دفين على مر الليالي لي الذواهب**

**لئلا يرى الواشون قرة أعين**

**ولا يجدوا فينا معاباً لعائب**

**وقد زعموا أني بغيرك مغرم**

**وعنك عزوف كالصدوف الموارب**

**فلا والثنايا الغرِّ من فيك أنها**

**لكالغيث أدته أكف السحائب**

**تمج مداماً عتقت فتنفست**

**بأحشاء شيخ عُدمليٍّ (6) كراهب**

**على قود رحل قائم غير قاعد**

**له برنس يعتدُّه في المناسب**

**تمزق عنها الدهر من طول لبثها**

**ولم يتمزق في بلاء جلابب**

**بجلباب قار قد تجسد جسمها**

**وآخر من طين وليس بلازب**

**ويغشاهما ثوب رقيق سداؤه**

**رقيق الحواشي من نسيج العناكب**

**طرقنا أباها في جيوش من الدجى**

**وأيدي الثريا في نواصي المغارب**

**فقام إلينا مسرعاً لسرورنا**

**يفدي ويحمينا كبعض الأقارب.**
**فقلت له هات المدام فإننا**

**عكفنا عليها من صدور الركائب**

**فشمر ردنيه وقام مبادراً**

**إلى وقفِ شُعث قيام نواصب**

**فشد على الأقصى فضرج خصره**

**بمثل جناح من دم الجوف شاخب**

**وأقبل يسعى بالزجاجة ضاحكاً**

**مدلا بها مستبشراً غير خائب**

**كان سحيق المسك في جنباتها**

**إذا التمعت يفرى رداء الغياهب**

**كأن نسيم الكأس عند ردائها**

**تبسم عود في صدور المحارب**

**كأن دموع العاشقين ترقرقت**

**بأكؤسها تجري على كل شارب**

***

**لما كنت إلا مقصداً بكِ مغرماً**

**ولست إلى أنثى سواك براغب**

**إذاً فرماني البيت عن قوس هجركم**

**بأسهمه ذات الشجون الصوائب**

**فقلَّ كرى عيني لهمٍّ مسهد**

وفكر طويل الذيل بالقلب لاعب.

جمهرة الإسلام الورقة: 40. وورد البيت العشرون منها في مخطوطة المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، نسخة ليدن، الورقة: 18/ آ، ونسخة الجمعية الغراء الورقة: 10، منسوباً لخالد الكاتب مع ثلاثة أبيات أخرى هي:
ومن يانع التفاح خد مورد

ومن خط حلو الخط تقويس حاجب

ومن يانع الأغصان قد وقامة

ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(/)

---

ومن كل ما تهوى النفوس وتشتهي

نصيب، وما فيه نصيب لعائب

وورد البيتان العشرون والحادي والعشرون في التشبيهات: 253، دون نسبة.
كما ورد البيت العشرون، منسوباً للسلامي في محاضرات الأدباء: 2: 135.
يتبع

mailto:aru@net.sy

الاتحاد
سورية – دمشق – أتوستراد المزة – مقابل حديقة الطلائع – هاتف: 6117240 – فاكس: 6117244

(/)

---

مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد 83–84
Updated: Tuesday, September 16, 2003 01:35 AM
فهرس العدد

# أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيده النحوية ـ الدكتورة ناديا حسكور([1])

نشطت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري نشاطاً بيّناً، وقد عمل لتزايد هذا النشاط تلك المناظراتُ التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين، فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات عديدة([2])، وكان أبو علي الفارسي علماً من أعلام النحو في عصر اتسم بذلك النشاط العلمي، إذ تخرج في حلقاته علماء أفاضل، وتعلم منه الكثيرون، فكان بحق حامل راية الإعراب ولواء الصرف بلا منازع، فها هوذا يقول عن السيرافي: "إنه تعلم مني وأخذ عني هو وغيره ممن ينظر في شيء من هذا العلم"([3]).

ولم يقتصر أثر علم الفارسي على معاصريه بل تعداهم إلى كثير من العلماء الذين تتلمذوا على كتبه، وأخذوا عنه آراءه، فابن هشام يتتبع أقوال أبي علي ويذكرها في كتبه([4])، أما عبد القادر البغدادي فقد نقل عن الفارسي نصوصاً كاملة في كتبه، وهو يشير إلى هذا النقل فيقول أحياناً في آخر نقله: "انتهى كلام أبي علي وسقناه برمته لنفاسته"([5]). وقد نقل عنه أيضاً في كتابه "شرح أبيات المغني" في مواضع كثيرة([6])، فكان بذلك من أكثر أهل العلم انتفاعاً بكتب الفارسي.

(/)

---

مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد 24 – السنة السادسة – تموز "يوليو" 1986 – ذو القعدة 1406
Updated: Saturday, December 13, 2003 03:26 AM

**فهرس العدد**

**ابن أبي أصَيْبُعة ومُصَنفهُ في طبقات الأطبّاء ـ محمد شحادة كرزون**

**يوضح ابن أبي أصيبعة في مقدمة كتابه الباعث الذي حفزه على أن يشرع في تأليف مصنفه طبقات الأطباء وهو الافتقار إلى مرجع شامل في معرفة طبقات الأطباء، وكذلك يوضح خطته في التأليف، ألا وهي أن يذكر المتميزين من أرباب هذه الصناعة (الطب) قديماً وحديثاً، وتصنيفهم طبقات وفق الزمان والمكان، مع إيراد نُبذ من أقوالهم ونوادرهم ومحاوراتهم وذكر شيء من أسماء كتبهم، ثم يحدثنا عن تقسيمه الكتاب إلى أبواب يعددها فتصل إلى خمسة عشر باباً: أولها في كيفية وجود صناعة الطب وحدوثها وآخرها طبقات المشهورين من أطباء الشام.**

**في ظني أن ما أفصح عنه من باعث ليس هو الوحيد وراء هذا النتاج القيم وإنما وراءه ثقافة ممتازة عميقة توفرت للرجل، وفكر موسوعي واضح، يدفع صاحبه دفعاً إلى التعبير عنه، والإبانة عن مكنات صاحبه الفذة والمنوعة، فهو مطالع ممتاز نهم، يدل على ذلك عدد جم وفير من المراجع تهيأ بين يدي عمله، وعدد أكبر اطلع عليه، فدفعه إلى البحث والاستقصاء، فالتصنيف، مع ميل في طبعه لهذا الأمر، ثم إن الرجل كان جمّاعاً للكتب كأكثر أعلام عصره، وقد صرح بذلك في ترجمته لحنين حيث يقول: ".. وجدت من هذه الكتب كتباً كثيرة، وكثير منها اقتنيته وهي مكتوبة، مولد الكوفي، بخط الأزرق، كاتب حنين.." ومثل هذه الملاحظة ترد في غير واحدة من الترجمات التي عملها.**

*(/)*

---

**ثم إن عصر الرجل –العصر الثقافي أعني– كان عصر الموسوعات: نجزت –قبله وبعده– مجموعات هائلة من المصنفات العربية في سائر العلوم.. وكان قد تهيأ في نتاج الثقافة العربية حتى ذلك الوقت، مصنفات في الطبقات خاصة، في شتى العلوم من طبقات المحدثين إلى طبقات القراء، طبقات الأدباء والشعراء، طبقات النحويين، وطبقات الأطباء، وإذن فلم يكن مصنف ابن أبي أصيبعة فريداً في بابه ولا في لونه فلقد ألَّف غيره في هذا المجال، وإن كان مصنفه هو يتميز عنها بأشياء نذكرها في موضعها من هذه الدراسة.**

**أما ناسخ الكتاب فقد ذكر اسمه في معرض ترجمته لأمين الدولة وهو الشريف الناسخ شمس الدين محمد الحسيني، وذكر أنه كثيراً ما كان ينسخ لهم الكتب (وأغلب الظن أن الضمير عائد هنا عليه وعلى أبيه وعمه الذين يشكلون أسرة مثقفة جيدة الثقافة، احترف أفرادها الطب وكان لكل واحد منهم في مجالها شأن غير**

قليل) واستفادت هذه الأسرة من اقترابها من الأسرة الأيوبية فائدة جليلة كان لها أثرها الخطير في مستقبلهم الثقافي العلمي، مما أتاح لهم التعلم ومصاحبة رجال الدولة وأعيانها.

مدح ابن أبي أصيبعة خط ناسخه الشريف المذكور وأشاد بإتقانه العربية وأخبرنا عن قطع الكتاب (ربع البغدادي) وعن أجزائه (أربعة أجزاء) وذكر تاريخ الفراغ من نسخه (أوائل سنة ثلاث وأربعين وستماية) وعن مكان النسخ (دمشق).

(/)

---

مما سبق يتضح أن هذا الكتاب كان موجوداً قبل أن يهدى إلى أمين الدولة سنة ثلاث وأربعين ونتبين ذلك فوق هذا من عدة تلميحات وإشارات وردت تؤكد هذا الوجود: إن رغبة أمين الدولة أن تضم خزانته هذا المصنف الذي كثر إطراؤه تدل على أنه يستهدي شيئاً موجوداً سمع الثناء عليه من الآخرين ثم إنه قد تقدم أن المؤلف قد تلقى عتباً من أستاذه الجيلي قاضي القضاة حين اطلع على الكتاب فلم يجد ترجمته مدرجة في التراجم، ومن المؤكد أن الملاحظة هذه تنصب على إطلاع الجيلي على نسخة سابقة على النسخة التي حملت إلى أمين الدولة، لأن النسخة الأخيرة كانت تحوي ترجمة للجيلي.. ونعتقد أن الكتاب قد مرَّ بتطورات كانت تطرأ فيها عليه زيادة في كل مرة، ففي المرة الأولى التي اطلع فيها رفيع الدين الجيلي على نسخة من هذا الكتاب كانت خلواً من ترجمة له فعتب عليه، وحين أهدي إلى أمين الدولة، كانت النسخة المهداة تحتوي على ترجمة للجيلي، ثم إنه يترجم لأمين الدولة ويذكر تاريخ وفاته(!!) كيف يهدى الكتاب إلى رجل دولة استهداه ثم يسجل في ترجمة المهدى إليه تاريخ وفاته؟! والتفسير المعقول لهذا الاضطراب هو ما قدمنا من أن هذا الكتاب قد مرَّ بتطورات كان في كل واحدة منها يزاد عليه، وإلا فكيف تهيأ له أن يذكر تاريخ وفاته (**648**هـ) ويسهب في ذكر هذه الوفاة وما حصل له من المحن إلى حين شنقه في القلعة بالقاهرة نتيجة الصراع المحموم الذي اشتد بين أفراد الأسرة الأيوبية في مصر والشام.. ثم إن إضافة ثالثة قد حصلت على هذا المصنف بعد سنة **648**هـ وهي تخص الترجمات التي ذكرت وفاة أصحابها بعد هذه السنة مثل ترجمة نجم الدين المنفاخ (**652**هـ) وترجمة بدر الدين ابن قاضي بعلبك. ومن المؤكد أن هؤلاء لم تكن ترجماتهم مذكورة في النسخة المهداة إلى خزانة أمين الدولة، أو –على الأقل– لم يكن تاريخ وفاتهم مثبتاً لأنهم كانوا أحياء عند الإهداء (في سنة **643**هـ)..

(/)

وأشد من ذلك اضطراباً أن في الكتاب ترجمات لأناس كانت وفاتهم بعد وفاة المؤلف –إذا سلمنا أن وفاته كانت فعلاً في سنة (668هـ)– وهما ترجمتان واحدة ليعقوب السامري وكانت وفاته سنة (681هـ) والثانية لتلميذه ابن القف ووفاته سنة (685هـ) وحل هذا الاضطراب المشكل هنا –كما تقدم– بالأخذ بأحد افتراضين وهما: إما أن تكون وفاة ابن أبي أصيبعة ليست في عام 668 هـ وإنما في عام 685 هـ وما بعد حتى يمكن القول أنه ترجم لاثنين مات آخرهما في عام 685هـ، أو أن نقول إن زيادة رابعة قد وقعت على هذا المصنف فأضافت ترجمة هذين العلمين ونحن نرجح الافتراض الأول ونميل إلى الشك في وفاة ابن أبي أصيبعة لأنه حين يترجم لتلميذه ابن القف يقول: لازمني.. و.. قرأ عليَّ وأمثال هذه العبارات مما يرجح أنه هو الذي يكتب الترجمة وبالتالي فالترجمة ليست من إضافات النُّسَّاخ.

وفي تاريخ النسخ والإهداء اضطراب إذا ما قورن بوفاة الجيلي، فالفراغ من النسخ كما ورد في ترجمة أمين الدولة من قول ابن أبي أصيبعة كان في أوائل سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وحمله الجيلي إلى المهدى إليه وفي ترجمة الجيلي (ص627) يذكر تاريخ وفاته على أنه عام 641 هـ وهذا غير معقول. إن وفاة الجيلي كانت بعد إهداء الكتاب وخروج المهدى إليه من دمشق، وذلك قد كان في سنة (643هـ) كما هو في قول ابن أبي أصيبعة وكما هو ثابت في التاريخ(1).

(/)

لقد حظي الكتاب باهتمام وتقريظ أعلام عصر المؤلف، ففضلاً عن اهتمام أمين الدولة، وحرصه أن يُخَصَّ بنسخة من الكتاب تكون في خزانته، يجزي عليها المال والإحسان والثناء وإضافة إلى عتب الجيلي وحرصه أن يكون اسمه بين الأعلام الذين حوتهم النسخة، فإننا نقع على مديح له في عبارة الوزير الصاحب ابن مطروح وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب حين يقول له: "ما سبقك إلى تأليف كتابك في طبقات الأطباء أحد" وبغض النظر عما في العبارة من حكم قابل للنقاش فإنه تقريظ للكتاب وإشادة بأهميته، وكذلك فإننا نجد شيئاً مماثلاً في ترجمة رشيد الدين أبي حليقة حيث يقول(2): "ولما اجتمعت بالحكيم رشيد الدين أبي حليقة وكان قد بلغه أنني ذكرت الأطباء المشهورين من أهله ووصفت علمهم وفضلهم فتشكر مني".

وأما مهذب الدين سعد بن أبي حليقة فيكتب إليه في سنة سبع وستين وستماية وكان أبو سعيد إذ ذاك في المعسكر المنصور الظاهري يقول: "إنه وجد بمصر نسخة من هذا الكتاب الذي أَلَّفْتُهُ في طبقات الأطباء، وقد اقتناها وصارت في جملة الكتب التي حواها، وبالغ في الوصف الذي يدل على كرم أخلاقه وطيب

أعرافه". وكذلك قرَّظ الكتاب شعراً، صديقه عز الدين السويدي وأنشده قصيدة منها:

"موفق الدين بلغت المنى

– ونلت أعلى الرتب الفاخرهْ"

"حملت في التاريخ من قد مضى

– وإن غدت أعظمه ناخرهْ"

"فخصك الله بإحسانه

– في هذه الدنيا وفي الآخرهْ"

(/)

---

ما هي المصادر التي اعتمدها ابن أبي أصيبعة في تصنيفه القيم هذا؟ إن المعلومات الثرة الغزيرة التي احتواها الكتاب استقاها المؤلف من مصادر عدة هي النقول والمشافهات والمعاينات والمشاهدات، وفي كل واحد من هذه المصادر نلحظ الجهد العظيم في التحصيل والإطلاع والتقييد. فهو حريص أشد الحرص على أن يذكر لك من أين استقى مادته، ففي مصادره المكتوبة نجد أنه قد استفاد من ما ينوف عن اثنين وخمسين مرجعاً مكتوباً(3)، تشكل خزانة غنية جداً في الطب وعلومه المساعدة، وتاريخ الصنعة، وتراجم أعلامها وأسماء كتبهم ومصنفاتهم، هذا غير نقوله مما لم يصرح بذكر الكتاب اسماً وإنما ذكر المؤلف كنقوله التي أخذها عن فثيون الترجمان، فهو لم يصرح باسم الكتاب الذي نقل عنه ولم يدرج في ترجمته سوى كتاب واحد وهو ليس من الكتب التي تتحدث عن تاريخ الطب والأطباء.. أو قوله: نقلت من رسائل ابن الصيرفي(4) أو النقول التي قدم لها بقوله:

"نقلت من بعض التواريخ" وهي عبارة ترد في كثير من المواضع.. أو قوله: "وجدت في بعض الكتب" أو قوله "وفي التاريخ.." أو: "نقلت من خط بعض المشايخ..".

يلاحظ على هذه المصادر المكتوبة أنها تقع في ثلاثة أقسام:

1–منها ما يتعلق بالعلوم الطبية المحضة، أو تاريخ الطب.

2–ومنها ما يتعلق بالعلوم الحكمية، والعلوم المساعدة لصناعة الطب.

3–ومنها ما يتعلق بالتاريخ العام وتاريخ الأدب.

(/)

والمشافهات كثيرة، ومن الطبيعي أنه استقاها من أعلام عصره: شيوخه وزملائه في العمل وأصحابه من المثقفين من أصحاب المناصب الإدارية قضاءً ووزارة من المهتمين بشؤون الثقافة العامة والطب وتاريخه والأدب وتاريخه والتاريخ العام والسياسي منه بشكل خاص، وبلغت عدة من شافههم وروى أطرافاً من أحاديثهم أربعة وأربعين علماً(5) هم صفوة أعلام الثقافة في عصره خاصة في العلوم الطبية وتاريخها، منهم الطبيب والنحوي والكاتب والعواد والناسخ والكحال والوزير والكتبي، هذا سوى من لم يذكر أسماءهم صراحة بل أجمل القول:

....: "حدثني بعض الأطباء(6)" أو قوله "حدثني بعض المصريين(7)، وكذلك قوله: "حدثني بعض فقهاء العجم(8)" أو "حدثني أهالي حلب"(9).

وتشكل المشاهدات المصدر الثالث لهذا الكتاب، وقد تمت هذه المشاهدات في أربعة مواضع هي: دمشق وصرخد والمعسكر المعظمي والقاهرة، ولا نعلم له أماكن غير هذه أقام فيها أو دوَّن شيئاً من مشاهداته فيها سواها، وهذه المشاهدات غنية بالمعلومات الطبية والنكات والنوادر وطرائق التدريب، وما يكون بين الأطباء من تعاون أو بغض أو تحاسد، ومعاتبات، وأحوال، مثلها في ذلك مثل المصدرين السابقين: النقولات والمشافهات.

في دمشق عاش منذ مولده وإلى أن انتظم بالمعسكر المعظمي، ثم عاد إلى دمشق وارتحل إلى القاهرة، وكان هنا سنوات اثنتين وثلاثين وثلاث وثلاثين وبعدها التحق بصاحب صرخد سنة أربع وثلاثين، وهذا لا يعني انقطاعه عن دمشق ففيها أهله وأصحابه، وهي ملعب طفولته، ومغنى شبابه، كان يتردد عليها، وخاصة سنة 643هـ حين اصطحب مسودات كتابه ليهيِّئ نسخة منها يهديها إلى أمين الدولة كما تقدم الخبر بذلك.

(/)

فمن مشاهداته ما رواه من نادرة للأسعد المحلي يعقوب بن اسحق صديق عمه رشيد الدين حين عاد بعض نساء أهله (أهل المؤلف) وكان عرض لها مرض تطاول فأعيى، فأعطاها علاجاً، أقراصاً قال إنه ركبها خاصة لهذا المرض ومؤدى الخبر ها هنا الإشادة ببراعته في (التشخيص) ودقته في العلاج اللازم (الدواء الذي ركّبه) فلما تناولتها وفق ما رتب شفيت (حسن تنظيم العلاج). أو ما شاهده من حسن تأتي الشيخ السديد ابن أبي البيان لمعرفة الأمراض وتحقيقها (التشخيص) وذكر مداواتها، وبراعته في تركيب الأدوية بمقاديرها وأوزانها حتى للأمراض النادرة من سفوفات وأقراص وأشربة.

وكذا ما شاهده من ذكاء ابن البيطار وفطنته ودرايته بالنبات والأعشاب وما رآه من حسن تأتي الحكيم عمران في المعالجة وتحققه للأمراض مما يثير العجب، من ذلك معالجته مفلوجاً حتى برئ في البيمارستان الكبير بدمشق ووصفه للمزاوير لمرضاه حسب ميولهم ومعالجته أمراضاً كثيرة مزمنة قد أعيى شفاؤها فشفى الحكيم أصحابها بدوائه وعلاجه(11).

وما شاهده من ملح أستاذه مهذب الدين في صناعة الطب وغرائبه في المداواة وتحققه للأمراض والمعالجة فقد عالج مريضاً بمرض الجنون السبعي بإضافة مقادير من الأفيون إلى ماء الشعير الذي كان يُسقاه فشفي، أو كشفه لطلابه حالة مريض نبضه ضعيف في اليمنى قوي في اليسرى، وهي حالة نادرة في الناس مما يشتبه على كثير من الأطباء فيؤولون ضعف النبض عندهم إلى مرض وما هو كذلك.

وما عاينه من كيفية استدلال الحكيم رضي الدين الرحبي على الأمراض وما يصفه بموجب ذلك للمرضى، وذلك في البيمارستان النوري الكبير بدمشق.

وما رآه من براعة والده في معالجة العين الميؤوس منها أو مما تكون مداواتها بالحديد (الجراحة) يبرئها بالدواء ويستغني عن الحديد.

*(/)*

---

وما شاهده وسمعه من إطراء علم الدين قيصر لعمه رشيد الدين لشدة ذكائه واستيعابه، وقدرته على التحصيل، حيث كان يدرس عليه علم الحياة (علم البحث عن أحوال الأجرام السماوية) فأنجز منها بين يديه في نحو شهر ما يتعلمه غيره في خمس سنين!!

إلا أن معظم مشاهداته وأهمها وأوفرها كان قد أورده في كتابه "التجارب والفوائد" يتبع ابن أبي أصيبعة في الترجمة أسلوباً نمطياً واحداً وقد تمتد الترجمة على عدة صفحات تتراوح بين العشرة الواحدة إلى العشرات الأربع إلا أن ترجمات أخرى قد تتضاءل إلى أن تغدو من بضعة أسطر.

يتناول في الترجمة الواحدة جوانب كثيرة من حياة المترجم له تتضمن كلاماً كلياً حول أخباره –مكانته وفضله، تعمقه الصنعة– عصره ومعاصروه، موطنه ومسكنه، تحصيله ومعلموه، ثقافته، نبذ من آرائه، صفته وأخلاقه، عاداته ونوادره، علاقاته بأصحابه وأعلام عصره ممن كان في خدمتهم أو خدم معهم، والأماكن التي خدم فيها، ثم أخيراً مصنفاته وإنتاجه لم يلتزم ذكر الاسم كاملاً (الاسم الكنية اللقب) ولا تاريخ المولد والوفاة، بعض العناصر المتقدم ذكرها قد ترد في بعض الترجمات كاملة، وقد يغيب عنصر أو عناصر في ترجمات بعضهم الآخر، وقد يجري التركيز على عنصر فيتوسع فيه عند واحد، دون سائر العناصر ولا يخلو

الأمر من بعض الاستطرادات والخواطر والشعر.
وهو محقق لا يقبل الكلام على علاته، بل يناقش ويثبت وينفي، ويعارض ويقابل ويحتاط، ويتحفظ ويفحص، وعلى الرغم من اعتماده أساساً على المنقول فإنه شديد الانتباه إلى ما يقع أحياناً من تناقض في نقل خبر من جهتين مختلفتين ويرد هذا إلى النساخ أحياناً(12).

(/)

---

أما إنشاؤه فمتوسط، ولا تخلو عبارته –أحياناً– من لفظ من الدخيل: جامكية (المنح السلطانية) دستور (الوصفة) أقرباذين (كتاب الأدوية) بيمارستان (المستشفى) علة (الورشكين) الخ... مما كان شائعاً استعماله في التعامل، وفي إنشاء زمانه ومصنفات عصره، وقد يستعمل جموعاً خاصة (الآدرج دار) وقد يستعمل ألفاظاً ذات مدلول خاص كاستعمال لفظة الدار بمعنى أهل الدار، أفراد الأسرة وعلى الخصوص الزوجة كما هو شائع في بعض اللغات المحكية في ريف بلاد الشام ومصر وخاصة الصعيد، وقد ترد ألفاظ خرج بها عن معناها الأصلي إلى معنى مستحدث خَدَمَ: بمعنى الاحترام أبدى الاحترام والطاعة، التحية الخاصة بالسلاطين الخ.. وقد يستعمل ألفاظاً يبلغ بها الخروج عن معناها الأصلي إلى أسلوب العاميات: (توجديه: بمعنى تظهرني له)، (وكان يرى لها كثيراً) بمعنى يستمع إلى رأيها ويأخذ بمشورتها وقد تصل بعض عباراته إلى حد الركاكة(13) بل قد يقع في الخطأ النحوي(14).
نشر الكتاب لأول مرة الألماني أوغست موللر (AUGUST MULLER) في العام (1299هـ الموافق 1882م) في القاهرة ثم نشر مقدمة له في كونزنبرغ (1884م) وهذا خلاف ما ذكره الناشر في بيروت من أن نشر موللر للكتاب كان في عام 1884م.
ثم طبع في مصر عام 1329هـ نقلاً عن طبعة موللر.
ثم نشر في بيروت عام 1965 بدار مكتبة الحياة.
ويشار إلى طبعة أخرى في بيروت عام 1965 بمطبعة الإقبال، ولسنا نعلم ما إذا كانت طبعتا بيروت عام 1965 طبعة واحدة حيث لم نقع على هذه الأخيرة (لمطبعة الإقبال) وكذلك فإن دار مكتبة الحياة لم تشر إلى المطبعة التي تم الطبع عليها مما يحمل على الشك أنهما طبعة واحدة.

(/)

---

كل الطبعات العربية التي تمت حتى الآن اعتمدت على الطبعة الأولى (طبعة موللر)، وفي دائرة المعارف وبروكلمان يشار إلى طبعة موللرويشار إلى الجزء والصفحة منها. في مقدمة الكتاب لم يشر ابن أبي أصيبعة إلى الأجزاء وإنما ذكر الأبواب الخمسة عشر على حين أنه يذكر خلال ترجمته لأمين الدولة أنه أهدى إليه الكتاب أربعة أجزاء، وعلى هذا فإن موللر حين نشر الكتاب حافظ على الكتاب بأجزائه، وطبعة بيروت خلت من هذا التقسيم وليس فيها ما يشير إلى حدود الأجزاء، فهي منشورة في مجلد واحد من القطع الكبير يقع في سبعماية واثنين وتسعين صفحة.

يبدأ الكتاب بعد صفحتي العنوان بترجمة لابن أبي أصيبعة، والترجمة ليست دقيقة ولا وافية وتحتل الصفحتين 5–6 ولا تحمل إشارة إلى منشئها، ثم تأتي مقدمة ابن أبي أصيبعة لكتابه على الصفحات 7–9، ثم تبدأ مادة الكتاب بالباب الأول (ص11) وتنتهي المادة في نهاية الباب الخامس عشر وهو آخر الأبواب بترجمة ابن القف (ص 768) ولا تشتمل النهاية على ذكر الفراغ من النسخ واسم الناسخ ومكان النسخ على ما جرت عليه عادة الناسخين، ثم يلي ذلك فهرس المواضيع (ص 769–776) وهو فهرس ناقص قليل الفائدة لأنه يكتفي بترقيم بدء الباب دون ترقيم صفحات كل علم من الأعلام في هذا الباب، يلي ذلك الصفحات (777–792) وفيها فهرس للأعلام والأماكن، سيِّئ الإعداد، عديم الفائدة.

والكتاب من خلال هذه الطبعة مليء بالأخطاء عامر بالأوهام التي وقع فيها الناشر منها:

1–كثيراً ما يقع خطأ في ترقيم الحاشية (انظر الصفحات 408 و 194).

2–يحيل إلى حاشية غير موجودة أصلاً (انظر ص 477).

3–يخطئ في فهم معاني المفردات فيشرحها شرحاً خاطئاً نابعاً من سوء الفهم (ص301) فلقد فهم معنى البذرقة على أنها التبذير على حين أنها تعني في السياق الذي وردت فيه معنى الخفارة(15).

4–يخطئ في فهم الأماكن أسمائها ومواقعها(16).

(/)

---

5–يخطئ في الأعلام فنحول عنده اسم تاج الدين بن الحسن الكندي النحوي إلى النكدي النحوي(17).

6–يخلط بين اثنين من أعلام الصحابة هما سعد بن عبادة (الجد الأكبر للمؤلف)، وسعد بن معاذ (الجد الأكبر لصديقه السويدي) (ص 736–759).

7–يخطئ في التاريخ فيقول عن وفاة نور الدين محمد أنه توفي سنة أربع وخمسين وخمسماية، ثم يقول إنها في سنة تسع وستين وخمسماية والتاريخ الثاني هو الأصوب(18).

وكذلك قوله عن وصول رشيد الدين أبي حليقة إلى القاهرة سنة تسع وخمسماية، وهذا خطأ لأنه يذكر أنه ولد في سنة إحدى وتسعين وخمسماية في قلعة جعبر.

8-لم يتحقق من تاريخ ولادة المؤلف (600 أم 595)؟ كما لم يتحقق من تاريخ وفاته التي جعلها بحدود 668 هـ على حين أننا نرى أن المؤلف ترجم لمن كانت وفاتهم بعد هذا التاريخ (681هـ) وكذلك ترجمته لابن القف (685هـ)(19).

أما عن الأخطاء المطبعية إملاءً ونحواً وتصحيفاً فحدّث ولا حرج فلقد عثرت على جملة منها بلغت عدتها نيفاً وخمسين(20).

توفرت لهذا المصنف الجليل من الأسباب ما جعلته من الأهمية بمكان ونذكر فيما يلي طائفة منها:

1-احتوى على تراجم لحوالي أربعماية من أعلام الطب أو من اشتغلوا بصناعته أو بعلوم أخرى مساعدة ضرورية مكملة لهذه الصناعة.

(/)

---

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو لماذا لم يترجم لمعاصره ابن القفطي مع أنه كثير النقل عنه، ثم لماذا لم يترجم لمعاصره ابن النفيس (607-687) ولم ترد الإشارة إليه ولو في معرض الحديث عن آخرين كما هو حاصل أحياناً في ترجماته للبعض إذ إنه يورد أطرافاً من أخبار من عاصر المترجم له من أعلام هذا الفن(21). وهل يكفي هنا في تعليل افتقارنا لترجمة ابن النفيس أنها أغفِلَت لما كان يباشره من الجراحة جرياً على عادة العرب الذين كانوا ينظرون إلى الجراحين (أو الجرائحيين باصطلاح تلك الحقبة) نظرة عدم ارتياح بله الاحترام بما يلحق عملهم بالجسم الإنساني من تشويه مما لم يكونوا يستحلونه لدواع فقهية (كما ترى دائرة المعارف الإسلامية؟!) وإذا اطمأن البال إلى مثل هذا التعليل الواهي فكيف نبرر ترجمته لمعاصره وتلميذه ابن القف الذي كان جرائحياً أيضاً وكان تلميذاً في الوقت نفسه لابن النفيس؟.

2-حوى الكتاب نبذاً من كتب مفقودة ككتب (جالينوس) وقد وردت أخباره وآراؤه ونبذ صغيرة منقولة من كتبه في البابين الأول والثاني في المقام الأول ثم في سائر الأبواب حيثما عرضت.. وثمل ذلك كتب (حنين) مؤلفة أو مترجمة، وكتب عبيد الله بن بختيشوع الذي كانت له منها نقولات غزيرة وخاصة ما تعلق منها بأخبار الطب والأطباء، والنقل في العصر العباسي، وكذا ابن جلجل والمبشر بن فاتك وأخبار الدخوار وغيرهم.

3-حوى الكتاب معلومات عن الطب الهندي واليوناني، وربط بين مدرسة الطب العربي الإسلامي التي يعود

فضل إنشائها إلى المنصور والخلفاء من بعده وبين الأصول والمنابع التي استمدت منها النسغ فنما باسقاً في منبت عربي شديد التشوف إلى كل ما هو علمي فنهل من تعاليمها وتقاليدها في منابعها المتاحة من مدرسة جند يسابور ومدرسة الاسكندرية والمدارس الأقدم لدى اليونان والهند(22).

(/)

---

4-أورد تفاصيل مفيدة وطريفة عن الحياة الاجتماعية في الوطن العربي والعالم الإسلامي منذ العصر الجاهلي وحتى السنة السابقة لوفاة المؤلف منها على سبيل المثال عادة حضور الحاسبين والمنجمين مجلس الطبيب حين يعود أحداً من رجال البلاط، وإبداؤهم الرأي قبولاً ومعارضة فيما اختاره الطبيب من ضروب العلاج، إن شخصية الحاسب والمنجم في الحضارة القديمة وإلى عهد الخلفاء والسلاطين المسلمين تحتاج إلى بحث مستقل، فقد كانت هاتان الشخصيتان من خواص السلطان وموضع الرأي والمشورة في أموره الشخصية كالعلاج (ص 177-192) أو في الأمور العامة. أوَ ليس أصحاب الرواية والنجوم هم الذين نهوا المعتصم عن أن يباشر فتح عمورية لأن نجومهم قالت لهم إن الوقت المناسب لفتحها هو وقت نضج التين والعنب، وهم من عناهم أبو تمام معرضاً:

"السيف أصدق أنباء من الكتب

في حدِّه الحدُّ بين الجد واللعب"

"أين الروايةُ بل أين النجوم وما

صاغوه من زخرف فيها ومن كذب"

فما الكتب التي عناها الطائي إلا كتب المنجمين، وما الرواية إلا ما يرويه هؤلاء المنجمون والحاسبون عن نجومهم، ومؤدى هذا أن المنجم والحاسب كانا عظيمي المنزلة لدى السلطان وكانا بسبب هذا يحتلان مناصب إدارية وتنفيذية عالية في بلاطات الملوك والسلاطين.

ومنها ما سنه الرشيد لبني العباس (وللناس تبعاً لهم) من عدم الجلوس على النمارق في المآتم وإنما على البسط (ص 476).

ومنها ما يكون من مكايد نساء البلاط وخدمهم (ص 405) وعادة فحص البول والاستدلال منها على المرض. وما وصفه من هيئة الأطباء الذميين وبزتهم وهيئة الأطباء المسلمين وبزتهم وشاراتهم مما يميزهم عن سائر أصحاب المهن الأخرى، وذكره عادة أكل لحوم الخيل في دمشق لزمانه (ص 611) وذكره

لمراسم فحص الأطباء وامتحانهم قبل مباشرتهم المهنة وإجازتهم في ذلك (ص 353، 307، 308).
ومنها ما يورده من أن كتابة الاختزال قديمة وكانت شائعة أمام جالينوس(23) وغير ذلك كثير.

(/)

---

5–شكل مدونة كبيرة لأسماء مؤلفات الأطباء الذين ترجم لهم وهذه قيمة علمية عظيمة الفائدة وفرت بين أيدينا صوى وعلامات مهمة في طريق البحث وعلم المراجع وهو أمر له خطره في طريق البحث والتحقيق فالبعث الثقافي لكنوز آثارنا العلمية المتنوعة مما عدَّ مفقوداً بسبب ما ألم بالوطن العربي من كوارث مدمرة للحضارة في أثمن دعائمها، ومن أبرز هذه الكوارث المدمرة الغزوان المغولي التتاري من الشرق والصليبي من الغرب ثم ما تلا فترة الضعف والتراجع أواخر عهد الدولة العثمانية من حرب سرية شنتها أوروبة على ما تبقى من موجود الخزائن العربية التي لم يصل إليها التدميران السابقان في بعض حواضر الوطن العربي في حلب ودمشق والقدس وبغداد والقاهرة، وامتدت هذه الحملة المسعورة والسرية والتي حللت نفسها من أي التزام أخلاقي متسلحة (بميكافيلية) مطلقة امتدت خلال فترة الانتدابات والاحتلالات الفرنسية والبريطانية والإيطالية فنهبت معظم ما تبقى من كنوز ثقافية وفكرية في هذه الحواضر.
لقد عني ابن أبي أصيبعة عند نهاية كل ترجمة أن يضع ثبتاً بأسماء مؤلفات الطبيب العَلَم المترجم له وأسماء مترجماته، ومساهماته العلمية المصنفة وقد يكون الطبيب صاحب أثر فريد أو أثرين أو بضعة آثار وقد يصل هذا الثبت لدى بعض غزيري الإنتاج منهم إلى بضع مئات(24) مما يثير الإعجاب حول قدرة هؤلاء الأفذاذ على العطاء والنشاط إلى التأليف والتفرغ له.

(/)

---

ولا يكتفي الرجل بإيراد أسماء المقالات والكتب الخاصة بصاحب الترجمة بل إنه يلقي أحياناً على بعض منها إضاءات كاشفة حول الموضوع والمحتوى ولمن ألّف الأثر، ولمن أهدي ويورد –أحياناً أخرى– محتوى الكتب الهامة بتفصيل مفيد، وقد يبدي رأيه في نسبة أثر من هذه الآثار لغير صاحبه ويرجح رأياً على رأي وهي إضاءات مهمة للباحث وهي في دلالتها إشارات أصيلة إلى أثر العرب في تأسيس علم المراجع وعلم أصول البحث، ذلك الذي بدأت تدوَّن قواعده الأساسية عند الشروع في ضبط الحديث، وتجعل هذا الكتاب واحداً من سلسلة كتب مهمة في التراجم كالفهرست ومعجم الأدباء وكتب الطبقات المختلفة

وكشف الظنون وسلسلة ثمينة متصلة من مثيلاتها في هذا الباب، ويحتل الكتاب الذي ندرسه –ههنا– موقعاً بارزاً بينها.

6–يعطي فكرة واضحة ووافية عن مدارس الطب وعن الأطباء المعلمين والمصنفين في عصره وفي العصور التي عاشها من ترجم لهم ويتحدث عن طرائق تعليمهم وتدريبهم لطلابهم وعن إنشاء المستشفيات والإنفاق عليها من قبل السلاطين والأمراء وبعض الأطباء المعلمين(25).

إن الكلام على طرائق التعليم والتدريب والمعالجة وسير العمل في هذه المؤسسات الصحية التعليمية الكبرى يرد في كثير من صفحات هذا المصنف في معرض ذكره لأوضاع المترجم لهم من الأطباء المعلمين والمتعلمين وهي في مجملها لا تقل عما وصلت إليه طرائق التدريس والتدريب في المؤسسات المماثلة في عصرنا الحديث(26)، كذلك يورد شيئاً من نوادرهم ومعابثاتهم ومكايدهم وذكراً لبعض طرائقهم في التأليف المدعم بالوسائل المعينة من رسوم وصور.

(/)

---

7–يؤرخ لأسر طبية كاملة لعهده والعهود السابقة وبغض النظر عما تعنيه أن تدور مهنة الطب في أسر معينة كما هو الحال في أسرة المؤلف نفسه، فهذا أمر طبيعي وفي سائر العصور، إلا أن تنظيمه لتراجم هؤلاء ضمن أسر مستقلة يعطيك فكرة عن حرص بعض المثقفين مما كانوا قريباً من السلطان أو في طبقته الخاصة على هذه الامتيازات التي توفرها مهنة الطب، إضافة إلى أنها تتيح –وبصورة آلية تقريباً– لمن تتحقق له هذه الصلة بالسلطان عن طريق المهنة، أن يصعد إلى المناصب السياسية والإدارية العليا، وقد اضطرد ذلك منذ أيام المنصور وإلى العصر الأيوبي، فمن الأسر التي أرخ لها، أسرة أبي الحكم وأسرة بختيشوع وأسرة الطيفوري، وأسرة أبي سليمان داود بن أبي المنى، وأسرة أبي الحكم عبيد الله بن المظفر وغيرهم كثير(27).

8–يحدثك عن مكانة الطبيب التي يحتلها في الهيئة الاجتماعية في تلك الأزمنة: حظوتهم لدى الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء، وإفرادهم بمزايا لا تكون لغيرهم (ص 589–201–204) وعن اعتدادهم بأنفسهم (ص 729) ومشابهتهم الملوك والوزراء والأمراء في مساكنهم (ص652–653) وعن ثرواتهم وعن رحمتهم مرضاهم من الفقراء، وعن أزيائهم ( ص 671–751–654) المسلمين منهم والذميين، عن ثقافاتهم، مكايدهم ومعابثاتهم ودعاباتهم.

9–يورد نبذاً من فوائد طبية كان مغرماً بإيرادها: كصفة تجميد الماء (ص 124)، والحصول على الثلج، وكمعالجة الطبيب جبرائيل لزبيدة من الفواق (أرعبها فزال ما بها من فواق) وإبرائه محظية الرشيد التي

تيبست يدها إثر تمطيها (بإزعاجها بشدة الحياء، ص 188)، وكلجوء حكم الدمشقي إلى قطع نزيف شرياني أعيا.

10-يعد تاريخاً مكملاً لتواريخ كثيرة ألّفت في ملوك وسلاطين وأمراء ووزراء الأسرة الأيوبية في مصر والشام.

كما يؤرخ لمعالم هامة في دمشق والقاهرة حاضرتي ملك الأيوبيين وفي القدس مساجدها وبيمارستاناتها وقلاعها ومدافنها وأبوابها وأحيائها.

(/)

---

11-ثم إنه يعد أجلّ كتاب ألّف في بابه، قيِّم عظيم الفائدة في تاريخ الطب العربي ويعد مصدراً إضافياً في مصادر التاريخ العام، والتاريخ الأدبي حيث يمدنا بمعلومات كثيرة ذات صلة بالتاريخ العام وتاريخ الأدب والتصنيف، ولا يحتج لدفع هذه الميزة أن معظم ما أورده المؤلف في هذا الباب مذكور في مظانه التاريخية، إذ إن المؤرخ الذي يعتمد التوثيق والتدقيق والتحقيق لا يمكن أن يعرض عما ورد فيه من لمحات عظيمة الفائدة.

إن الحاجة ملحة وقد رأينا خطر هذا الكتاب وعظيم فائدته وما نجده من رداءة المتوفر من طبعاته –والتي اعتمدت أساساً على عمل (موللر) الذي مضى عليه زمن طويل –الحاجة ملحة إلى أخذ هذا المصنف بالنشر العلمي الجيد يتوفر فيه تحقيق النص وخدمته وتيسير الرجوع إليه وجعله سهل المتناول بين أيدي الباحثين في تاريخ الطب العربي خاصة وتاريخ الحضارة بشكل عام.

هوامش:

(1)كان ترسيم الجيلي في منصبه في عهد السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل الذي ملك دمشق سنة 637هـ وأخذت منه سنة 643هـ: (الأعلاق الخطيرة ج 3 ص 200 وقوت القلوب في مناقب بني أيوب ص 371 و ص 381).

(2)انظر ص 596 ابن أبي أصيبعة.

(3)تجد أسماءها في ثبت ملحق بهذه الدراسة: الملحق رقم 1.

(4)انظر ص 502.

(5)تجد أسماءهم في ثبت ملحق بهذه الدراسة: الملحق رقم 2.

(6)انظر ص 491.

(7)انظر ص 461.

(8) انظر ص 642.

(9) انظر ص 644.

(10)وربما كان فيها سنة إحدى وثلاثين أيضاً ولم تكن إقامته في القاهرة في هذه السنوات إقامة متصلة، فهو قد كان مع أستاذه ابن البيطار العشاب في سنة ثلاث وثلاثين وستماية (ص 853).

(11)انظر ص 601-697.

(12)يقول في ذلك: "وقد يكون سبب هذا الخلط من النساخ ويستمر حتى تحصل حجة يضل بها من لم يفحص عن حقائق الأمور".

(13)انظر الصفحات 568- 591- 600- 601- 643- 654- 658- 660-628.

(14)انظر ص 24 و ص 700.

(15)انظر اللسان مادة بذرق.

(/)

---

(16)انظر ص 118 حيث يتحدث عن مسكن جالينوس وهو في سمرنا بالغرب من قرية والصواب بالقرب من قره.

وكذلك انظر ص 454 حيث يقول عن وادي كنعان أنه على ما يعتقد (كذا) في لواء ديالي من العراق على حين أنه المكان الذي كسر فيه قطز. التتار في فلسطين. وانظر كذلك ص (643) في ترجمته للسهروردي فيسمي المدرسة الحلاون بالمدرسة الجلاوية.

(17)انظر الصفحات 637-352-692-682-721.

(18)انظر على التوالي ص (635) و (637).

(19)انظر على التوالي ص (667) و (685).

(20)وردت في ثبت خاص في نهاية الدراسة الملحق رقم 2.

(21)ففي ترجمته لعمه رشيد الدين نجد أطرافاً من أخباره هو وأخبار والده، وفي ترجمته لأمين الدولة نجد أخباراً عن رفيع الدين الجيلي، وفي أخبار رفيع الدين نجد أخباراً عن السهروردي.. الخ.

(22)انظر الصفحات 226-547-200-305-336.

(23)انظر ص 115.

(24)بلغت قائمة كتب ورسائل يعقوب بن اسحق الكندي (268) كتاباً ورسالة وبلغت قائمة كتب الرازي 131، بينما جاوزت كتب الشيخ الرئيس المائة.

(25)أمثال السلطان نور الدين محمود الذي أنشأ البيمارستان النوري الكبير، والسلطان صلاح الدين الذي أنشأ البيمارستان الناصري في القاهرة، وأنشأ البيمارستان العضدي. وكذلك علي بن عيسى الجراح، الوزير، والدخوار (علي بن عبد الرحيم) الذي أنشأ المدرسة الطبية المعروفة باسمه ورتب لها أوقافاً محبوسة عليها ومن أجل الإنفاق في شؤونها.

(26)انظر ص 416 في وصف مجلس درس الرازي و 628 في وصف العمل في البيمارستان والمرور على المرضى وتفقد أحوالهم من قبل الطبيب الشيخ.

(27)انظر على التوالي الصفحات 175، 178، 587، 588، 589، 612، 520.

**E - mail: aru@net.sy**

الصفحة الرئيسية صفحة الدوريات صفحة الكتب جريدة الاسبوع الادبي اصدارات جديدة معلومات عن الاتحاد

سورية – دمشق – أتوستراد المزة – مقابل حديقة الطلائع – هاتف: 6117240 – فاكس: 6117244

//

---

ودأبت كتب النحو التي أُلِّفت بعد عصر أبي علي على ذكر اسمه وآرائه لأن النحاة استفادوا من علمه، وهذا ما فعله ابن يعيش، وابن عصفور، وابن مالك وابنُ هشام والسيوطي وآخرون. وكان نشاط أبي علي في إجراء الإعراب ووجوه التخريجات مدداً سخياً لكل المعربين الذين جاؤوا بعده، فقد قيل عن تأثر ابن الشجري بالفارسي:"إنه موصول النسب النحوي بأبي علي، ويبدو إجلاله له واحتفاله بمصنفاته في هذا الحشد الهائل من النقول التي حكاها عنه وملأ بها كتبه، ثم في تصديه لشرحه، ورده كتبَه بعضَها إلى بعض..... وفي أن قدراً كبيراً من الآراء التي ساقها ابن الشجري غير معزوة إنما ترجع إلى مصنفات أبي علي([7])". ولكننا هنا سنخص البحث بدراسة أثر الفارسي في ابن سيده مفصلاً ليكون صورة عن النحويين الذين نهلوا من علم الفارسي في المغرب والمشرق.

يعدّ ابن سيده([8]) من أبرز العلماء الذين تأثروا بأبي علي الفارسي ونهلوا من علمه ومصنفاته، وهو صاحب "المحكم والمحيط الأعظم"، وهذا المصنف معجم لغوي استقصى فيه ألفاظ اللغة استقصاء يكاد

يكون تاماً حتى قال فيه القفطي: "كتاب المحكم يقارب العشرين مجلداً، لم يُرَ مثله في فنه، ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه.... ولو حلف الحالف أنه لم يُصنَّف مثله لم يحنث"([9]). وعدّه ابن خلكان من المصنفات النافعة([10]). وقد أتبعه ابن سيده بمعجم آخر للمعاني هو المخصَّص الذي يعد موسوعة شاملة في بابه ويقع في سبعة عشر جزءاً؛ فهو أوسع معاجم المعاني لما امتاز به من اطلاع على كل ما أُلِّفَ قبله، ولحسن تبويبه وإحكام منهجه"([11]).

*(/)*

---

وقد أشار ابن سيده في مقدمة كتابيه إلى ثلاث غايات ابتغاها من التصنيف، أولها الجمع وثانيها الترتيب وثالثها عرض بعض المباحث النحوية والصرفية، فقال في ذلك: "فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا، أحببت أن أجرد فيها كتاباً يجمع ما انتشر من أجزائها شَعاعاً، وتنثّر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعاً.... وتأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة، وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة، فوجدتهم قد أورثونا علوماً نفيسة جمة... إلا أني وجدت ذلك نشراً غير ملتئم ونثراً ليس بمنتظم، إذ كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه، ثم إني لم أر لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلّها، فضلاً عن كلها، مع أني رأيت جميع من مدّ إلى تأليفها يداً وأعمل في توطئتها وتصنيفها ذهناً قد حُرموا الارتياض بصناعة الإعراب... فإنا لا نجدهم يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء.... فاشرأبت نفسي عند ذلك إلى أن أجمع كتاباً مشتملاً على جمع ما سقط إليَّ من هذه اللغة".([12])

ولكنه شعر بعد تصنيفه لكتبه تلك أنها قد توصف بالتبعية وفقدان الأصالة والإبداع فقال: "وإذا رأيت قضية في كتابي قد ساوت قضية من كتب أهل اللغة في اللفظ أو قاربتها فاقرن القضية بالقضية يلح لك ما بينهما من المزية، إما بفائدة يجلّ موضعها وإما بصورة عبارة يلذ موضعها([13])". ومن الجدير بالذكر أن المادة اللغوية في المخصص والمحكم واحدة وإن اختلف ترتيبها في الكتابين.

*(/)*

---

والحق أن ابن سيده كان ينقب في كل موضوع من موضوعاته عن أحسن كتاب أو كتب أُلِّفتْ في هذا الموضوع، وأغزرها مادة ثم يجعلها عماده، ويكملها بما يعثر عليه في المراجع الأخرى، ولما كان المؤلِّف يغلب عليه الميل إلى النحو فقد كانت كثير من المواد التي زادها في أبوابه من الإعرابيات والصرفيات، ولذلك فقد بدت على مؤلفاته الصبغة النحوية، حتى إننا وجدنا عنده أبواباً نحوية خالصة.([14])

أما علاقة ابن سيده بالفارسي فقد بدأت حين وصلت كتب أبي علي إلى الأندلس في وقت مبكر عن طريق أبي العلاء صاعد بن الحسن([15])، وقد ذكر ابن سيده صراحة في مقدمة كتبه أنه استفاد من كتب أبي علي إذ أشار إلى أنه استعمل الإيضاح والحجة والأغفال والحلبيات والبغداديات والشيرازيات([16])، وقد وقفت على نص لابن سيده ينطق بأنه قدا ستفاد من علم أبي علي، وذلك في مفتتح كتاب الأضداد، فبعد أن نقل كلام سيبويه في اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين قال: "وأنا أشرح ذلك كله فصلاً فصلاً إن شاء الله تعالى، وأتحرى فيه.... ما سقط إليَّ من تعليل أبي علي الفارسي"([17]).

وابن سيده يجلّ الفارسي ويقدر له احتكامه إلى الحكم العقلي فقد قال فيه: "يفسر أبو علي المنطق بالفكر"([18]). وهو لذلك يحذو حذوه في تصريف الكلمات حين يعتبر نوع اللام مسترشداً بحركة الفاء، ففي كلامه على ((الأُثفيّة)) قال: يجوز أن يكون من يثفوه أو من يثفيه، ويرجح أن يكون من الواو لقولهم: جاء يثِفُه لأن الياء لا تحذف في مثل هذا ولا يلتفت إلى ((يَئِسُ)) لقلته، "وهذا من أقوى ماكان أبو علي يروم به حقيقة التصريف، أعني أن يعتبر بالفاءِ اللامَ"([19]).

(/)

---

وقد تَبع أبا علي أيضاً حين رأى أن ((ال)) زائدة في ((الذي)) وأن الاسم الموصول يتعرف بالصلة لا بها فقال: "ولو كان (الذي) إنما حصل له التعريف من أجل الألف واللام لا بالصلة لوجب أن تكون (من) و(ما) الموصولتان نكرتين لأنه لا ألف ولا لام فيهما، وإن كان الظاهر من كلام سيبويه غير ما ذهب إليه الفارسي".([20])

وابن سيده يعتمد كلاماً للفارسي ويحكم على نظيره بالحكم نفسه، فقد نقل عن العرب أنهم يقولون: سلام

عليك، مجيزين الابتداء بالنكرة، لأن فيها معنى الدعاء، وقد استعان بهذا الحكم وفسّر به الابتداء بالنكرة للدعاء في قولهم:"تربٌ وجندلٌ. إذ قال: إنما الناصب له أصبت تراباً وجندلاً، أو أُلزمت تراباً وجندلاً، فإن فيه معنى المنصوب، وإن رُفِعَ فقيل: تربٌ وجندلٌ، فالكلمة "رفِعت على الابتداء مع أنها نكرة لأن فيها معنى الدعاء وإن كانت من الجواهر"([21]).

وعلي بن سيده كثيراً ما يستصوب رأي الفارسي بعد أن يعرض آراء غيره في الموضوع الواحد؛ فقد اختلف النحاة في الواو من قولهم: أبوك ونحو ذلك، فقيل: إنها دليل الإعراب، وقيل: إنها حرف الإعراب المحذوف وقد رُدَّ في الإضافة وكُرهت فيه الضمة. والفارسي يرى أنها حرف الإعراب لا دليله([22])، وأيد ابن سيده هذا الرأي وقال: "هو الصحيح([23])". وهو يجيز كالفارسي تقدير ((أن)) في الكلام الخبري الموجب([24]) وقد حمل عليه قول الأعشى:

لنا هضْبَةٌ لا ينزِلُ الذّلُّ وسْطَها

ويأوي إليها المستجيرُ فيُعصَبا([25])

(/)

---

وابن سيده، ينقل عن الفارسي مسائل لغوية كثيرة وأخرى نحوية وقد أوردها في معجميه بلفظها، وهذا إن دلَّ على شيء، فهو يدل على تقديره للشيخ الفارسي([26]). وقد وافقه في بعض الآراء التي خالف بها سيبويه وجمهور النحاة، فقد رأى أن وزن((تئفّة)) تفْعِلة خلافاً لمن يقول: إن وزنها فَعِلّة، وقد حكى هذا ابن سيده فقال: هي عند سيبويه فعِلّة وعند أبي علي تفعِلّة، وأقول أنا: "إن الصحيح في زنة الكلمة أن تكون تفعِلة ولا تكون فَعِلة"([27]). ورأى أيضاً مثله أن التاء في ((كلتا)) بدل من الواو، لأن الألف في كلا منقلبة عن واو([28]).

ولعل دراسة منهج ابن سيده في تناول الأصول النحوية، ثم تبيين ملامح منهجه الفكري والتأليفي يظهران تأثر ابن سيده بالشيخ أبي علي الفارسي.

منهجه في الأصول النحوية:

ذكر ابن سيده في المخصص والمحكم المصادر التي كانت المنبع الذي جمع منه المادة اللغوية لكتابيه

كـ"إصلاح المنطق وكتاب الفصيح لابن السكيت والنوادر والمجالس لثعلب"([29])، وقد نثر في كتبه إلى جانب المادة اللغوية عروضاً لمسائل نحوية منوعة أخذها عن شيوخ النحو الذين تتلمذ على كتبهم وتعلم منها مثل سيبويه والفراء والمبرد والفارسي وابن جني.

وهذا يعني أن ابن سيده كان يستعين بالإرث النحوي واللغوي الذي أخذه عمّن قبله، فيجمعه ويرتبه ويعيد عرضه بالشكل الذي يرتضيه، فمصادره هي مصادر الفارسي، وقد كانت له آراء في بعض كتب اللغة تشابه رأي الفارسي فيها، فقد تابع معجم العين للخليل تارة بالتوضيح وتارة بالتخطئة والتصويب، فروى عن صاحب العين قوله: ألقى الكلام على عواهنه: لم يتدبره، وقيل: لم يبال أصاب أم أخطأ، وقيل: قاله من قبيحه وحسنه. وقال علي: حقيقته أيضاً أنه قال: ما ألّم به وحضره.([30]) ونقل عنه أيضاً أنه نَهَع ينهَع نهوعاً تعني تهوّع من قلْسٍ أي من غير قيء، وقال بعد ذلك: "وليس عندي بصحيح"([31]).

(/)

---

وقد تعقب اللحياني أيضاً في نوادره ذاكراً قول ابن جني: "ذاكرت بنوادر اللحياني شيخنا أبا علي فرأيته غير راض بها"([32]). وقال أيضاً: "كان الفارسي يرد حكاية اللحياني لأنه لا يعجبه نقله"([33])، وعلى الرغم من تعظيمه لأبي زيد ونوادره فقد اعتمد قول الفارسي فيه: "كان أبو زيد يتسع في اللغات حتى ربما جاء بالشيء الضعيف فيجريه مجرى القوي"([34])، وراح يخطئه.

وما يعنينا من هذا الكلام أن ابن سيده كالفارسي كان يخضع كل ما يسمع لحكمه العقلي بعد أن يناقشه ليرى فيه رأيه، ولا يمنعه تقديره للقديم والموروث من النقد وإبداء الرأي والتعقب والتخطئة. ولكنه كان في الوقت نفسه كثير التحرز في تخطئة الفارسي، فقد ذكر ((اليعسوبة)) ورواه عن الفارسي وقال: هكذا وجدتها في التذكرة بالهاء فلا أدري أهو ضبطه أم هو غلط من الناقل؟"([35]) وقد يكون تعقبه للفارسي من باب التوجيه والتمثيل وليس من باب التخطئة، فقد حكى كلام أبي علي في أن "الظّلال يحتمل أن يكون جمع ظُلّة كعُلبة وعُلب وعِلاب، ويحتمل أن يكون جمع ظلّ، ثم قال فيه: "يجوز أن يكون جمع ظُلّة أولى لأن الظلال ليس بجوهر ولا بشبيه الجوهر فيتضمن شيئاً، والظُلة كالوعاء فهي أولى بالتضمين"([36]). وابن سيده حذر في تخطئة ابن جني أيضاً، فقد ذكر عن أبي الفتح أن ((سجعاً)) تجمع على ((سجوع)) ولما رآه غريباً، قال: "فلا أدري أرواه أم ارتجله؟"([37]).

(/)

ومنهج ابن سيده في تعامله والإرث النحوي في مؤلفاته، يقوم على التخفّف من ذكر المسائل القياسية المطردة التي تكررت في كتب النحو قبله، وعلى التنبيه على أمور أخرى شاذّة، وعلى التمييز بين الأمور المتشابهات، التي قد يقع فيها الغلط، وقد ذكر كل ذلك حين بيَّن منهجه ووضَّحه فقال عن كتابه المحكم: "ومن طريف اختصاره ورائق بديع نظم تِقصاره، أني إذا ذكرت مِفعلاً لم أذكر مِفْعالاً لعلمي أن كل مِفعل مقصور عن مِفعال، على ما ذهب إليه الخليل".([38]) ومنه أيضاً أنه لا يذكر افعالّ إذا ذكر افعلّ من الألوان لأن كل افعلّ عند سيبويه محذوفة من افعالّ، لإيثار التخفيف، أما التنبيه عنده فموجّه للشاذّ: "ومنه التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير والمصادر والأفعال".([39])

وابن سيده يعتمد رواية الفارسي ويقرها، فقد حكى عنه أن الفاء معناها الافتراق لكنها تأتي بمعنى الواو في البلدان نحو قولهم: "أصاب المطر كذا فكذا"([40]). وقد روى عنه ((تجذو)) على أنها لغة في ((تجثو))، وقال: إن أبا عبيد كان يؤوله على إبدال الذال من الثاء([41]). وهو يثق بأبي علي وبما يحكيه فيعتمد روايته فيما حكاه من أن الأصمعي كان يأبى "شتان مابين زيد وعمرو"([42]). وهو يروي عنه ما حكاه عن أبي زيد من قولهم في جمع التكسير ((رائح، وَرَوحٌ)) كقولهم: ((عازب، وعَزيب وقاطن وقطين))([43]).

وقد يقوي رأي الفارسي على غيره من النحاة، وعدّته في التقوية ما سمع عن العرب، فقد رأى أبو علي أن النون حرف يشابه الياء والواو والألف من غير جهة، ولذلك أُبدلت النون من الواو في قولهم: "صنعاني في الإضافة إلى صنعاء"، وأوضح ابن سيده كلام الفارسي مقوياً حكمه معتمداً ما سُمِعَ عن العرب، فقال: "لا تكون النون بدلاً من الهمزة "فلم نر النون أُبدلت منها الهمزة، ورأيناها أبدل منها الموافق للواو، وهو الألف في قولهم: "رأيت زيداً، وإذا في الوقف على إذاً".([44]).

*(/)*

فإذا سمع عن الفارسي شيئاً لم يُرضه دافع عنه، من هذا أنه حكى عن الفارسي قول العرب هيهات هيهات وقال شبّهه بالأصوات كقولهم: غاقٍ في حكاية صوت الغراب، ومن قال هيهاتاً نصبه على التشبيه بالمصدر، وأضاف بعد ذلك: "ولا أظن هذا لفظ أبي علي.([45]) وهو قد يروي سماعاً عن العرب لم يحكه أبو علي ممّا يُعدّ شاذاً، من هذا أنه روى قول العرب: "لعلَّتَ بإيراد ((لعل)) مؤنثة بالتاء، وقال:"إنهم لم يبدلوها هاءً

في الوقف كما لم يبدلوها في (ربّت وثَمَّتَ)، لأنه ليس للحرف قوة الاسم وتصرفه"([46]).

ولعل مصادر السماع تكتسب أهمية خاصة في بحوث ابن سيده، وذلك لأن كتابيه الكبيرين معجمان في أصلهما، وهما يجمعان مواد اللغة، فهما بالضرورة سماعيان، ولقد كان ابن سيده يدرك هذا ويعرفه بجلاء، لذا فإنه أكثر من الحديث عن الشاذ والنادر وعمّا يقتصر فيه على السماع.

أما الاحتجاج وهو توظيف المادة المسموعة لخدمة القاعدة النحوية فهذا ملمح لم يتضح بجلاء عند ابن سيده في المجال النحوي أو اللغوي، وذلك لأنه كان مسبوقاً في كل ما رواه، وهو لم يهدف في كتابيه إلى تأصيل وجه نحوي أو قانون لغوي بل كان ـ كما تقدم من قوله ـ يهدف إلى الجمع والترتيب وإضاءة هذا الكلام المجموع ببعض من الملاحظات النحوية التي يقتضيها السياق الكلامي. ولكنه مع ذلك كان يروي ما احتج به الفارسي من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والكلام العربي والشعر. فقد روى عنه ما أنشده من قول الشاعر عبد يغوث بن وقاص:

وتضحكُ منّي شيخةٌ عبشمّيةٌ

كأنْ لم تريْ قبلي أسيراً يمانيا([47])

وقال: "وروي البيت: كأن لم ترى قبلي، وزعم ذلك أبو علي الفارسي وعلل الروايتين".([48])

(/)

---

وقد غلب ميل ابن سيده للنحو عليه فساقه إلى تخصيص أبواب للحديث عن قضايا نحوية صرفة، وعن عدد من حروف المعاني، وقد استعان في هذه الأبواب بالقراءات القرآنية، فجعلها من وسائل الاحتجاج، وإن لم يكن في بعض الأحيان متابعاً الشيخ، فقد رأى أن ((لم)) قد تكون زائدة في المعنى في مثل قوله تعالى: ]والّذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربِّهِم لم يخِرُّوا عليها صُمَّاً وعُمياناً[([49]). إذ المعنى: إذا تُليت عليهم الآيات خرَّوا سُجَّداً بكيَّاً.([50])

ولعل ما يلفت نظر القارئ ويثير انتباهه أن ابن سيده لم يكن يهتم في احتجاجه بالقراءات القرآنية بأن يسند القراءة التي يدرسها، بل يكتفي بالإشارة إليها، من هذا أنه قال: "قرئ: ]لا يَدْخُلونَ الجنّة حتّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ[([51])، وعلّق على هذه القراءة فقال: السمّ ثقب الإبرة، ويقال سَمٌّ وسُمٌّ وقد حكى ذلك الفارسي.([52])

أما موقفه من الحديث الشريف فقد كان مشابهاً لموقف أبي علي في أنه لم يجعله وسيلة لاستنباط الأحكام النحوية، بل كان عنده وسيلة استئناس داعمة، ولا يُعدّ إكثاره من رواية الحديث خروجاً على مذهب الفارسي، لأن هذا الإكثار من الأحاديث الكريمة كان في باب الكلام على اللغة والمعاني، وهذا باب لا خلاف بين النحاة في الاحتجاج به، ولعل إكثار ابن سيده من روايته يعود إلى غلبة الطابع اللغوي على كتابيه المحكم والمخصص، ولذا فإنّا نستطيع القول إنه كان متابعاً للفارسي في استخدام الأحاديث الشريفة لتدعيم القاعدة النحوية. ومن الأحاديث التي كرر ابن سيده ذكرها وهو ينحو فيها منحى أبي علي قوله عليه السلام: (المسلمون تتكافأ دماؤهم) و(اللهمّ اشددْ وطْأَتَكَ على مُضَرَ)، و(إنَّ اللهَ يَنْهاكُمْ عَنْ قيلٍ وقالٍ)، و(هُنَّ صواحباتُ يوسفَ).([53])

(/)

---

ولكن استقصاء ابن سيده للكلام العربي شعراً ونثراً وللقراءات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يظل أمراً علينا أن نقدره حق قدره، ولا نغمط جامعه حقه فالمخصص والمحكم موسوعتان لغويتان تجمعان الكلام العربي على تعدد ألوانه، وتضمان في ثناياهما عدداً كبيراً من كتب التراث الذي تشكّل كتب أبي علي جزءاً هاماً منها.([54])

ومع هذا الإجلال للسماع لم يكن ابن سيده يلغي القياس أو ينقص قدره، فقد تأثر بالفارسي في إدراك أهميته، فاتّخذ عنده صوراً كثيرة كالقياس على النظير والضدّ وعلى الشائع والمطرد. وقد أجاز القياس وإن لم يرد به سماع في الضرورة الشعرية متبعاً بذلك مذهب الفارسي، فالشاعر إذا اضطرَّ جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس، وإن لم يرد به سماع([55]). وقد جعل لكل ما أورد من الأقيسة عللاً وجدنا مثلها عند الفارسي كعلة الفرق([56]) وعلة الاستغناء([57]) وعلة الأولى([58]).

وهو قد يستفيد من علل الفارسي، فقد نقل عنه أن التأنيث يغلب التذكير في الأيام والليالي على خلاف المعروف من غلبة التذكير على التأنيث في الحالة العامة، وعلة ذلك أن ابتداءَ الأيامِ الليالي لأن دخول الشهر يكون برؤية الهلال في أول الشهر، فـ"الهلال يُرى في أول الليل فتصير الليلة مع اليوم الذي بعدها يوماً في حساب أيام الشهر، والليلة هي السابقة فجرى الحكم لها في اللفظ فإذا أبهمتَ ولم تذكر الأيام ولا الليالي جرى اللفظ على التأنيث"([59]). فإذا ما وجد لأبي علي رأياً خالف فيه غيره ارتضى ما رآه الفارسي ونقل عنه علته في مخالفة غيره وهو يصرح بذلك قائلاً: "أنا مورد ما صح عن أبي علي في تعليل هذه الكلمة، ورده فيها على أبي إسحاق إبراهيم بن السري"([60]). وذلك في كلامه على رواية من قال: "أيهات في هيهات".

(/)

---

وهو يتابع أبا علي فيقول إن الواو في ((أبوك)) حرف إعراب ويورد العلل التي يسوقها الفارسي لتأكيد رأيه([61])، ولكنّا قد نرى عنده تعليلات إضافية لم يذكرها أبو علي، لكنها مستوحاة منه، ومن هذا أن التاء عنده كما هي عند الشيخ الفارسي أضعف حروف الجر، وهذا لأنها بدل من الواو، والواو بدل من الباء فلما بعدت ضعفت ولم تدخل إلا على اسم الله عزَّ وجلَّ([62]). وهو يرى كالفارسي أن ((عسى)) قد تكون مثل ((كاد)) وتجيء مكانها في الأمثال ((لأنه قد يأتي في الأمثال ما لا يأتي بغيرها)).([63])

ويسوق ابن سيده تعليلات أبي علي الفارسي في قضايا لغوية صرفة مبدياً إعجابه بتعليلات الشيخ، ففي كتاب الأضداد وهو أحد أبواب المخصص، تحدث عن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وقال: "أقدم فصلاً دقيقاً نافعاً.... لأشرح ذلك كله فصلاً فصلاً إن شاء الله تعالى، وأتحرى فيه أشفى ما سقط إليَّ من تعليل أبي علي الفارسي"([64]). ثم لخص بعد ذلك رأي الفارسي بأن وجه القياس الذي يجب أن يكون عليه الكلام اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين وذلك لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر، فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس، واختلاف اللفظين والمعاني بعد واضحة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ، وبيّن أن "هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع مايوجد بوجوده..... ومن هنا جاءت الزيادات.... لغير المعاني في كلامهم.... وأيضاً فإذا أراد التأكيد قال: قعد وجلس، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها

وتكريرها".([65])وهذا يبين لنا أن العلم سلسلة متصلة يكمل الآخر ماكان قد بدأه الأول، ويضيف الخالف إلى كلام السالف ما ارتضاه فكره وما هدته إليه دراسته.

(/)

---

ولكن ابن سيده قد ينقل تعليلات الآخرين راضياً بها دون أن يفسر وجه قبولها، فقد ذكر نقلاً عن ابن جني أن التاء في ((أخت)) للإلحاق فقال: التاء في ((أخت)) للإلحاق وقد حذف هذا الحرف في الجمع "لأن هذا البناء الذي وقع الإلحاق فيه إنما وقع في بناء المؤنث دون المذكر.... فصار البناء لما اختص به المؤنث بمنزلة مافيه علامة التأنيث فحذفت التاء".([66])

لقد ارتضى ابن سيده لنفسه أن يكون لغوياً بالدرجة الأولى، وكان لاختياره هذا مظاهر بدت في مؤلفاته فهو يبدأ قبل كل حديث نحوي بشرح المعنى اللغوي للمصطلح، فقد قال: "الدعاء طلب الطالب للفعل من غيره".([67]) وأول ما يلاحظ عنده في المنهج إفادته البالغة من المنطق وهو متأثر بهذا بالفارسي، وهذه النزعة نجدها في الترجيحات المنطقية وفي التقسيمات العقلية الدقيقة. واستعراض عناوين أبواب المخصص تظهر هذا بوضوح([68]). ففي كتاب المقصور والممدود من المخصص ذكر ابن سيده تفصيلات عن الاسم المقصور وأبنيته، فقال: إنها ثمانون بناء، أما الممدود فأبنيته خمسون بناء، ثم ذكر مايكون من هذه الأبنية اسماً وما يكون صفة وما يكون اسماً وصفة معاً، وبعد هذا العرض الإحصائي للأوزان ذكر مقاييس معرفة الاسم المقصور والممدود معتمداً كلام الفارسي في ذلك([69]).

وإنّا نلمح عند ابن سيده تقسيمات في تسمية الأبواب أكثر نضجاً منها عند الفارسي كقوله: ماجاء في المبهمات من اللغات، وما جاء في الذي وأخواتها من اللغات، وباب تحقير الأسماء المبهمة([70])، على الرغم من أن المخصص كتاب لغوي أولاً وليس كتاباً نحوياً.

(/)

---

وتبدو في المخصص أيضاً تعاريف واضحة المعالم وحدود بيّنة الأطراف حتى في المصطلحات البديهية:"فالقسم يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكّد بها

جملة أخرى، فالجملة المؤكَّدة هي المقسم له والجملة المؤكِّدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به".([71]) ويورد ابن سيده بعد ذلك أمثلة محكية ويشير إلى كل قسم من الأقسام التي ذكرناها في جملة القسم. وفي كلامه على التشبيه بدأ على غير ما اعتاد النحاة البدء به إذ قال:"التشبيه يأتي على ضربين: تشبيه حقيقةٍ وتشبيه بلاغةٍ. فتشبيه الحقيقة قولك: هذا الدرهم كهذا الدرهم..... وأما تشبيه البلاغة فهو التشبيه غير الحقيقي"([72]). ولعل من طريف ما اشتمل عليه هذا الكتاب الفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي، وهما نوعان من تخفيف الهمز تكلّم عليهما النحاة لكنهم لم يميزوا بينهما اصطلاحاً بوضوح، وقد أورد مثلاً لتوضيح الفرق بين المصطلحين، فقال:"أخطيت ليس بتخفيف قياسي، وإنما هو تخفيف بدلي محض، لأن همزة أخطأت همزة ساكنة قبلها فتحة، وصورة تخفيف الهمزة التي هذي نِصبتُها أن يخلص ألفاً محضة فيقال: أخطات".([73])

(/)

---

إن هذه اللمحات التفصيلية الدقيقة سمة من سمات البحث اللغوي النحوي عند ابن سيده إذ يبتدعها فكره اللغوي أحياناً أو يستفيد من كلام أبي علي الفارسي في كلامه التنظيري عليها، فالكلمات التي تقال بالهمزة مرة وبالواو أخرى على ضربين: اطرادي وسماعي، وقد قال فيها: "وأنا أبين ذلك بما سقط إلي من تعليل أبي علي رحمه الله".([74]) وابن سيده كالفارسي يورد وجهات النظر المختلفة ويوازن بينها مجرحاً ومرجحاً حتى يقر على رأي([75])، ولكنه في أحيان كثيرة يكتفي بالعرض فقط دون ترجيح([76])، فتختفي بذلك شخصيته، فقد نقل عن الفارسي قول ثعلب: ضغَنْتُ إلى القوم أضغَنُ ضَغناً، جلستُ وأضاف: قال أبو عبيدة: معناه جئتُ إليهم حتى أجلس معهم([77]). دون أن يبين رأيه فيما روى، وإذا أبدى الفارسي حيرة في أمر تابعه ابن سيده ناقلاً كلامه دون تعليق، فقد روى عنه: "وقد رأيت جِلْساً في الشعر لا أدري ألغة أم ضرورة؟ لأنهم مما يعيدون جميع المصادر الثلاثية في الشعر إلى فِعْلٍ إذا اضطروا"([78]). ولا يبدي ابن سيده تعليقاً على هذا الكلام. وهويحتكم إلى المعنى في بعض تأملاته اللغوية، ويستند إلى التحليل المنطقي الفكري، فالكاف يجب أن يحكم بزيادتها في الآية الكريمة: (ليس كمثلِهِ شَيءٌ)([79]) بدلالة المعنى، وقد قال في ذلك: لابد من الاعتقاد بزيادة الكاف ليصح المعنى، لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبتَّ له ـ عزَّ اسمه ـ مثلاً، وزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء، فيفسد هذا من وجهين: أحدهما مافيه من إثبات المثل لمن لا مثل له، والآخر أن الشيء إذا ثَبَتَّ له مثلاً فهو مثل مثله، لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما قبله.([80])

(/)

وقد يختلف قولا ابن سيده في المسألة الواحدة إلى حد التناقض([81])، وإنا نرى في كلامه تكراراً يبعث على الملل، فهو يعيد عبارات بأعيانها منقولة من كتب سيبويه والفارسي في كل مكان يرد فيه شاهد على الفكرة التي تتضمنها تلك العبارة فقد نقل كلام أبي علي على ((هلّم) وعلى حيّهل بحروفه([82]). ، ولكنا نجد مما يُحمد له أنه كان حريصاً على إيراد النوادر واللهجات واستقصائها بشكل قلَّ أن نال الاهتمام اللازم من النحاة قبله([83]).

وإذا بحثنا في كتب ابن سيده عن منهج التزمه في تصنيفه من الناحية النحوية فإنَّا لن نجد عنده ذلك المنهج الذي يستقصي كل شيء نحوي ويجمعه في بابه، بل سنرى المعلومات النحوية متناثرة يقولها مستعرضاً الآراء فيها حين تدعو الحاجة إلى ذلك، فهو لغوي أولاً، وماكان خوضه في الإعراب والصرف إلا لخدمة اللغة وتوضيح ألفاظها بغية الوصول إلى الكلام الفسيح الصحيح. ولكن مصنفاته برغم ذلك لا تخلو من البسط النظري أحياناً، فقد أفرد باباً للحديث عن حروف المعاني، وأتبعه بحديث عن حمل بعض حروف الجر على بعضها الآخر، وكلامه في هذا الباب يترجّح بين التفصيل والإيجاز، فقد تحدث عن الواو حديثاً مفصلاً فذكر أنها إذا لم تكن بدلاً من الحرف الجار لزمتها الدلالة على الإتباع، ورأى أنها تجيء على ضربين: أحدهما أن تدل على الاجتماع متعرية من معنى العطف، والآخر أن تأتي عاطفة تدل على الاجتماع، وأتى لكل من هذين الضربين بأمثلة وشواهد ثم ذكر أهم أحكامها([84])، أما ((لن)) فلم يزد على أن معناها نفي المستقبل([85]).

وهو يردف كلامه النظري بالبحث التطبيقي الذي يلائمه، ففي تعليقه على قول ساعدة بن جؤّية:

فَورَّكَ لَيناً لا يُثمثَم نصلُهُ

إذا صاب أوساطَ العظامِ صميمُ([86])

أشار إلى أن ((يثمثم) معناه يحبس وذلك لأن معنى ((ثم)) المهلة والتباطؤ عن رتبة الشيء، لأن احتباس الشيء وإبطاءه بمعنى([87]).

(/)

وابن سيده يستخدم مصطلحات الفارسي بعد أن يحدها، فهمزة النقل هي الهمزة التي تنقل غير المتعدي إلى المتعدي([88])، و((العباس)) من الأوصاف الغالبة وهي تعرف بالوضع لا بالألف واللام، وإنما أُقرَّت اللام فيها بعد النقل مراعاة لمذهب الصنعة فيها قبل النقل([89]). ولكنه قد يسمي الشيء بمصطلحين مختلفين، فقد سمَّى همزة النقل السابقة الذكر همزة الجعل فـ"أحمى المكان جعله حمى.... وأسكنه الله جعله مسكيناً.... وأطردته جعلته طريداً"([90]) دون أن يبين الفرق بين المصطلحين كما يراه، وهو يتابع أبا علي في كثير من أحكامه وينقل كلامه كما فعل في حديثه عن زيادة الباء([91]) وعن التركيب الذي يحدث في المركبين معنى لم يكن قبل فيهما([92]).

وهو يعتمد طرق تأويل الفارسي ويستعين بها في تحليلاته النحوية، فمن المعروف أن الفتحة التي هي علامة النصب تظهر على الواو وعلى الياء في آخر المضارع إذا كان منصوباً كما في قوله تعالى: ]أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ على أن يُحييَ الموتى[([93])، وقد قرئَ بتسكين الياء وأُجريَ النصب مجرى الرفع الذي لا تلتزم فيه الحركة([94])، وهذا تأويل الفارسي لقول الأعشى:

فآليتُ لا أرثي لها من كَلالةٍ

ولا من حَفىً حتى تُلاقيْ محمّدا([95])

كما نقل عن الفارسي جواز إشباع الفتحة وقلبها ألفاً في ((ينباع)) من قول عنترة:

ينباعُ من ذِفْرَى غضوبٍ جسرةٍ

زيّافةٍ مثلِ الفَنيقِ المُكْدَمِ([96])

(/)

ولكن ابن سيده قد يخالف الفارسي فيما رآه معتمداً تأويلاً آخر، فهو على الرغم من تقديره لأبي علي لا يتردد في تعقب الهفوات التي رآها في كلامه أو الآراء التي خالفه فيها، من هذا أن ((سوى)) عنده قد تكون ظرفاً على غير ما رآه الفارسي من أنها تكون ظرفاً أو اسماً([97])، فقد قال: "ومعنى ((سوى)) كمعنى ((غير))، إلا أن ((غير)) اسم، و((سوى)) ظرف، ومن حيث كان معناها معنى ((غير)) أطلق للشاعر

أن يضعها موضع الاسم([98]). وهو قد ينقل بعض آراء الفارسي التي خالف فيها النحاة فعن ((أولق)) قال: إن زنتها أفعل، من الولق: الذي هو السرعة، وأسند هذا الكلام للفارسي دون أن يعلق عليه، ولكنه أوردها في موضع آخر فجعلها من الألق([99]).

وهو قد يغني البحث الذي ينقله بإيراد تفصيلات لم تدرس فقد نقل كلام الفارسي على اللام من كلمة ((ابن)) وأضاف إلى ذلك بحثه في حركة الفاء من هذه الكلمة، وهذا أمر لم يذكره أبو علي الفارسي فقال في ذلك: "أبناء يدل على أن ابناً أصل وزنه فَعَلَ.... لأن أفعالاً بابه فَعَلَ، فأما قولهم: بنات في جمع بنت، فهو يدل على ما قلناه من أن أصل الفاء من (ابن) الفتح، ورُدَّ في الجمع إلى أصل بناء المذكر كما رُدَّ (أخت) إلى أصل بناء المذكر، فقيل: بنات كما قيل أخوات، لأن أصل بناء المذكر من كل واحد منهما فَعَلَ..... وهذا الضرب من الجمع، أعني الجمع بالألف والتاء قد يُرَدّ فيه الشيء إلى أصله كثيراً..... فكما ردّوا الحرف الأصلي فيه كذلك رُدَّت الحركة التي كانت في الأصل في بناء المذكر"([100]).

(/)

---

ولعل من مظاهر علم ابن سيده أنه كان كالفارسي صاحب فكرٍ شاملٍ لكل علوم العربية، فقد برع في اللغة والعروض والنحو وتمثّل كل ذلك في بحوثه إذ استعان بكل أدواته في مصنفاته، وقد عرف في نفسه هذه القدرات الشاملة فقال عن المخصص: "وقد ضمنّته مايدل على تقدمي في جميع أبواب الآداب كالنحو والعروض والقافية والنسب والعلم بالخبر إلى غير ذلك من العلوم الكلامية التي أبذّ بها المؤلفين وأشذُّ عن المصنفين"([101]). وقال في موضع آخر في الموضوع ذاته: "إني أجد علم اللغة أقلَّ بضائعي، وأيسر صنائعي إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفي القافية وتصوير الأشكال المنطقية والنظر في سائر العلوم الجدلية"([102]).
لقد كان ابن سيده ذا عقلٍ محيطٍ ونظرةٍ شمولية، ففي كتبه أحاديث طويلة عن البحور الخليلية والزحافات والعلل والضرورات الشعرية وقد فاق في هذا المضمار أبا علي([103]). إذ وظفها كلها في خدمة بحثه اللغوي إذا دعت إليها الحاجة، لأن علوم اللغة عنده كلّ متكامل يفضي بعضه إلى بعضه الآخر، ويوضح كل علم من هذه العلوم جانباً من المنطوق اللفظي حتى تتضح صورة دراسته بجلاء. أما طريقة العرض التي كان يتبعها ابن سيده في تآليفه فهي أنه يشير أولاً إلى المادة المسموعة ثم يشرح المعنى اللغوي، فإذا وجد في المسألة اللغوية مايمكن الحديث عنه نحوياً أشبع ذلك بحثاً ودراسة فإن كان في الموروث النحوي خلافات

في المسألة التي أوردها ونقل ما قيل في الرد عليها متبعاً طريقة أبي علي في أسلوب الفنقلة([104])، وإيراد الاعتراضات، ثم شفع كل تلك الاعتراضات بالحجج المناسبة وقارع الدليل بالدليل، والقول بالقول، حتى يستطيع تبيين صحة الوجه الذي ارتضاه([105]).

(/)

---

وبعد، فهذه ملامح تبين جهود ابن سيده النحوية وتظهر تأثّره بآراء أبي علي الفارسي، ويمكن أن تلخص تلك الجهود بأنها كانت علمية منطقية تعتمد القياس والتعليل والجمع والنقل والترجيح، وتجمع معظم ما قيل في أبواب النحو العربي في إطار واحد لتبدو كل المظاهر اللغوية متسقة فيما بينها تلائم هندسة النحو العربي وقوانينه.

فهرس المصادر والمراجع


(1). إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي علي بن يوسف 1384 هـ. . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مصر.

(2). ابن الشجري وآراؤه النحوية 1978م، رسالة دكتوراه مخطوطة لمحمود محمد الطناحي، دار العلوم في القاهرة.

(3). خزانة الأدب لعبدالقادر بن عمر البغدادي . تحقيق: عبد السلام هارون . مصر ط3.

(4). ديوان الأعشى أبو بصير ميمون بن قيس 1927م . تحقيق: رودولف جاير، فينا.

(5). ديوان الهذليين 1369 هـ. . مصر.

(6). ديوان طرفة بن العبد 1975م . شرح الأعلم الشنتمري . تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال.

(7). ديوان عنترة بن شداد 1970م . تحقيق: محمد سعيد مولوي . دمشق.

(8). سر صناعة الإعراب لابن جني 1985م . تحقيق: حسن هنداوي . دمشق.

(9). فهارس المخصص لعبد السلام هارون 1990م بيروت.
(10). كتاب الشعر لأبي علي الفارسي 1987م . تحقيق: حسن هنداوي . حلب و1988، تحقيق: محمود محمد الطناجي . القاهرة . ط1.
(11). المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده . تحقيق: حسين نصار وآخرين، القاهرة.

(12). المخصص لابن سيده دار الكتب العلمية، لبنان.
(13). المخصص لابن سيده، دراسة ودليل: لمحمد الطالبي 1956م تونس.

(14). المدرسة النحوية في مصر وبلاد الشام لسالم مكرم عبد العال 1990 مصر.

(15). المسائل البصريات لأبي علي الفارسي 1985م . تحقيق محمد الشاطر . مصر.

(16). المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي 1987م . تحقيق: حسن هنداوي . دمشق . ط1.

(/)

---

(17). المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي 1981م . تحقيق: إسماعيل أحمد عمايرة . الأردن.

(18). المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي 1986م . تحقيق مصطفى الحدري . دمشق . ط1.
(19). مصادر التراث العربي . لعمر الدقاق 1975م . حلب.
(20). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام . تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.

(21). المنصف في شرح التصريف لابن جني 1954م . تحقيق إبراهيم مصطفى . مصر ط1.

(22). وفيات الأعيان لابن خلكان 1978م . تحقيق: إحسان عباس . بيروت.
---

---

([1]) باحثة من سورية

([2]) المدرسة النحوية في مصر وبلاد الشام ص 81.

([3]) الحلبيات ص 159.

([4]) ينظر فهرست الأعلام من كتاب المغني، ص 985.
([5]) الخزانة 363/3.

([6]) ينظر على سبيل المثال 149/3 و 90/5.

([7]) رسالة دكتوراة مخطوطة لمحمود محمد الطناحي، بعنوان: "ابن الشجري وآراؤه النحوية" ص 108.

([8]) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تمتد حياته مابين سنتي 398، و458، وهو عالم أندلسي جليل نبغ في اللغة فصنّف كتابي "المخصص والمحكم"، وله أرجوزة لغوية مرتبة على حروف المعجم. كان ضريراً قوي الحافظة محباً للعزلة. ينظر للاطلاع على ترجمته وصفاته وحياته بالتفصيل: "الذخيرة لابن بسام"، 386/1 و"معجم الأدباء" 231/12.

([9]) إنباه الرواة 2/ 225.

([10]) وفيات الأعيان 18/3.

([11]) مصادر التراث العربي لعمر الدقاق ص 157.

([12]) المخصص 7/1 والمحكم 3/1-4.

([13]) المحكم 8/1.

([14]) مقدمة المخصص ص 13 و14 /47 ومابعدها.

([15]) صاعد بن الحسن الموصلي توفي سنة 417، وكان قد دخل الأندلس وهو نديم المنصور بن أبي عامر. بنظر معجم الأدباء 281/11، و286 وبغية الوعاة 7/1.

([16]) المخصص 13/1 والمخصص لابن سيده دراسة ودليل لمحمد الطالبي ص50.

([17]) المصدر نفسه 258/13.

(/)

---

([18]) المصدر نفسه 114/2، والمقصود بالمنطق هنا هو اللغة المنطوقة.

([19]) المصدر نفسه 142/4.

([20]) المصدر نفسه 101/14 . وقد منع سيبويه نداء الذي مباشرة لعدم جواز اجتماع النداء و التعريف بـ(ال)، وقال: "إن الذي مع صلته اسم واحد هو الحارث. الكتاب 333/3.

([21]) المخصص 185/12 و310.

([22]) البصريات ص 896.

([23]) المخصص 169/13.

([24]) المنثورة ص 146 والمحكم 469/6.

([25]) البيت ليس في ديوان الأعشى، بل هو في ديوان طرفة ص 159، وهذه روايته كما جاءت في

المحكم.

([26]) وردت في المخصص 116/10 المسألة 43 من البغداديات كاملة، وفي 28/7 من المخصص وردت المسألة 45، من المسائل البغداديات، وفي 259/13 ذكرت المسألة 62، من المسائل البغداديات، ونقل ابن سيده في المخصص 116/16 نصاً كاملاً من التكملة ص 19، وينظر أيضاً المحكم 234/4 والبصريات ص 908.

([27]) المخصص 304/12.

([28]) المصدر نفسه 195/13.

([29]) المخصص 12/1 والمحكم 15/1.

([30]) المخصص 128/2.

([31]) المحكم 67/1.

([32]) المحكم 270/3 والمخصص 232/14 وسر الصناعة ص 331.

([33]) المخصص 232/14.

([34]) المصدر نفسه 248/14.

([35]) المخصص 114/16 واليعسوبة ملكة النحل وهي أنثرى، وكان العرب يظنونها ذكراً لضخامتها. والتذكرة كتاب للفارسي مفقود.

([36]) المخصص 135./5

([37]) المحكم 178./1

([38]) المحكم 10/1 والتقصار هي القلادة.

([39]) المحكم 1/.13

([40]) المخصص 49/14 وهذا الذي رواه أبو علي محكي عن الجرمي، ينظر المغني ص .215

([41]) المخصص 12/.86

([42]) المصدر نفسه 86/14.

([43]) االمصدر نفسه 121/14.
([44]) المصدر نفسه 134/1.

([45]) المصدر نفسه 116/16.

([46]) المحكم 47/1.

([47]) العسكريات ص 149.

([48]) المخصص 9/14.

([49]) الآية 73 من سورة الفرقان.

([50]) المحكم 368/4.

([51]) الآية 40 من سورة الأعراف.

([52]) المخصص 135/5.

(/)

---

([53]) ينظر المخصص 239/12 و 192/6 و55/17 و246/12.

([54]) يراجع كتاب "فهارس المخصص" لعبد السلام هارون، إذ تتضح فيه كثرة الأحاديث الشريفة و الكلام العربي المنثور إضافة إلى الآيات القرآنية والأبيات الشعرية.

([55]) المخصص 102/12 والمحكم 238/2.

([56]) المخصص 151/2.

([57]) المصدر نفسه 89/2.

([58]) المصدر نفسه 81/3.

([59]) المصدر نفسه 115/17.

([60]) المصدر نفسه 116/16.

([61]) البصريات لأبي علي الفارسي ص 896 والمخصص 169/13.

([62]) المخصص 111/13.

([63]) المحكم 158/2.

([64]) المصدر نفسه 258/13.

([65]) المخصص 13/.258

([66]) المخصص 13/196 و 17/88 و المنصف 1/.59

([67]) المخصص 13/.88

([68]) المخصص 14/79–.80

([69]) المصدر نفسه 15/95 96–.97

([70]) المصدر نفسه 14/.100

([71]) المصدر نفسه 13/.110

([72]) المخصص 14/.49

([73]) المحكم 1/.9

([74]) المصدر نفسه 14/11.

([75]) المصدر نفسه 14/84.

([76]) المصدر نفسه 4/81.

([77]) المخصص 12/84.

([78]) المصدر نفسه.

([79]) الآية 11 من سورة الشورى.
([80]) المحكم 111/7.

([81]) المخصص 100/17.

([82]) البصريات ص 908 والمخصص 87/14.

([83]) المحكم 146/2.

([84]) المخصص 44/4–70.

([85]) المخصص 55/14.

([86]) ديوان الهذليين 230/1. ورك ليناً: حمل عليهم سيفاً ليناً. والثمثمة: التعتعة، وهي هنا رد ضربة السيف، والصميم: الخالص.
([87]) المخصص 95/12.

([88]) المحكم 235/6.

([89]) المحكم 314/1.

([90]) المحكم 348/3 و 449/6 والمخصص 167/14.

([91]) المحكم 203/1 . 234 و 223/2.

([92]) المحكم 82/6.

([93]) الآية 40 من سورة القيامة.

([94]) المخصص 9/14.

([95]) الديوان ص 135 والشعر ص 195.

([96]) الديوان ص 22 والذِفْرى خلف الأذن، والغضوبُ: الناقةُ الغضبى، والزيّافةُ: المتبخترةُ، والكَدَمُ: العَضُّ.

(/)

---

والمعنى: ينبع العرق من خلف أذن الناقة إذا غضبت غضباً يشبه غضب الفحل المعضوض من فحل آخر. وينظر المحكم 136/2، والبصريات ص 242، إذ قال الفارسي : فيه المدة زائدة وهذا في يفعل نظير الواو في يفعل نحو أنظور.

([97]) الشعر ص 452.

([98]) المخصص 85/14. وفيه أن ((سوى)) حرف وأظن في هذا تحريفاً، وصوابه أنها ظرف.

([99]) المحكم 350/6.

([100]) المخصص 194/13 –195.

([101]) المصدر نفسه 14/1.

([102]) المحكم 16/1.

([103]) المصدر نفسه 211/4 و247 و 65/5 و160 و 90/1 و119 و223.

([104]) الفنقلة لفظ منحوت من قولهم: فإن قال.

([105]) ينظر على سبيل المثال المخصص 170/13.

mailto:aru@net.sy



سورية – دمشق – أتوستراد المزة – مقابل حديقة الطلائع – هاتف: 6117240 – فاكس: 6117244

(/)